الملكة المؤمنة
آسية بنت مزاحم

اسمها ونسبها:

آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر، في زمن سيدنا يوسف [1].

امرأة فرعون:

ذكرت في القرآن الكريم بحيثيتها «امرأة فرعون» وذكرها رسول الله ﷺ في الحديث الشريف باسمها «آسية»؛ حيث قال: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ...**» [2]؛ لأن السبب في كمالها لم يكن نسبتها إلى فرعون، وإنما تجردها وتبرؤها من الكفر، وليجعلها الله ﷻ ورسوله ﷺ مثلًا للمؤمنين، فيعلموا أن صلة الكفر لا تضرهم في شيء إن صدقت هجرتهم إلى الله ورسوله.

كانت سيدتنا آسية في الدنيا تحت أعدى أعداء الله فرعون، ومن سلالة «فرعون مصر في زمن يوسف [3]، وفي زمن الاستعلاء والاستكبار

---

[1] ابن كثير في «قصص الأنبياء» (٢/ ٨).

[2] أخرجه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

[3] ابن كثير في «قصص الأنبياء» (٢/ ٨).

OBEIKAN.COM

الفرعوني والنمرودي المهلك، فاختارها الله ﷻ وهيأها للكمال، فكانت من الفائزين عنده ﷻ.

❁ رقت فنجت:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩].

بقولها هذا وحبها ورحمتها بسيدنا موسى عليه السلام وهو صبيّ؛ نجا من القتل الفرعوني، فوهبها فرعون إياه، واستعلى هو واستكبر أن يكون قرة عين له؛ قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنَّ اللهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ**»[١].

ونجا موسى الصبيَّ عليه السلام وكبر في بيت عدو الله، وتعلمت آسية رضي الله عنها من موسى النبي الرسول عليه وعلى نبينا السلام كلمةَ الهدى ودينَ الحق، كما تعلم ذلك منه بعضُ آل فرعون[٢].

❁ طلبت الكمال فنالت:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١١].

طلبت القرب من الله ﷻ قبل أن تطلب ما عند الله؛ وهي الجنة، وما أعظمه من طلب بل هو غاية الغايات، إذ اختارت الجار قبل الدار،

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى (٢٦١٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فالحديث حسن.

(٢) عبد السلام بن ياسين في «تنوير المؤمنات» (٢/ ٢٦٩).

OBEIKAN.COM

والعيش الهادئ المريح من الاضطراب الفرعوني بالقرب من الله العلي القدير.

كما أنها تبرأت من صلتها بفرعون ونفسه الخبيثة، ومن قصره وعلمه وقومه؛ مخافة أن يلحقها منهم شيء وهي أقرب الناس إلى فرعون، والمرء على دين خليله!.

لأجل ذلك اصطفاها الله ﷻ، وأخرجها من بين فرث ودم لتُعَلِّمَ المؤمنات أن الصلاح الأخروي ليس وقفًا على من وُلِدْنَ من صالحين، ولا على من كَفَلَهُنَّ صالحون حتى وإن كانوا أنبياء، وتزوجهن رسول فهذا كله لا يرفعها ولا يحطها إلا ما كان من عملها فقط[١].

❁ وباعت فربحت:

وهل من رحلة إلى السعادة الكبرى لا يكون في طريقها عقبات ولا امتحان ولا إرادة ولا اقتحام؟

وهل للعبور من القصور الفانية إلى العالية من ثمن؟ وماذا كان الثمن بالنسة لآسية رضي الله عنها؟

رَبِحَت البيعَ سيدتنا آسية؛ إذ باعت النفسَ في سبيل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، فعذبت في الشمس ممدودة بأربع أوتاد.

وكانت رمزًا للشجاعة، والفداء، والاستقلال، وتحدي الضغوط

---

(١) «تنوير المؤمنات» (٢/ ٢٨٨) بتصرف يسير.

الاجتماعية، والانسلاخ من الولاء لغير الله.

فقبل الله ﷻ بيعتها وأنجز وعده: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، وكشف لها بعضًا مما أعده لها عنده من القرب والرضا قبل مماتها، فرأت الملائكة وما أعد الله لها من الكرامة فضحكت، وقال فرعون: «انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب»[1]، ثم ماتت فنالت القرب بعد أن بلغت الكمال، فلها الجنة ولنا القدوة...

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) علي بن أبي الكرم الشيباني في «الكامل في التاريخ» (١/ ١٤٢).

OBEIKAN.COM

نجية الملائكة

مريم ابنة عمران

يا من تظن الاصطفاء الإلهي حكرًا على الرجال دون النساء؛ تَعَالَينَ نبشر أنفسنا وإياك بسيرة سيدة من خير النساء، نَذَرَتْهَا أمها لله، فاستجاب الله النداء، وأجزل العطاء، فقابلت العطاء بالشكر، والنذر بالوفاء، فكانت الزيادة: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وتم الاصطفاء: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

فما خبر هذه السيدة؟ تعالين نسمع الخبر يتلى من السماء، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦]. فما قصةُ هذه المولودة؟ وكيف أصبحت نجية الملائكة؟

مريم ابنة عمران

إن مريم ابنة عمران، آية من آيات الله في الأرض، لقد كانت في مولدها آية، وكانت في نسبها آية.

نسبها:

فقد كانت مريم من آل عمران الذي اصطفاهم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾، وهي من سلالة سيدنا داود عليه السلام.

مولدها:

كان آيةً أخرى؛ إذ كانت أمها عاقرًا، وكانت تَتمنَّى الولد، واستجاب الله الدعاء، فوهبته لله محررًا لخدمة بيته، ولكن وُضِع المولود أنثى، لم تكن الأنثى توهب للمسجد آنذاك: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، ومع ذلك وَفَّت الأم بنذرها، وَقَبِلَ الله النذر، وجعله مباركًا: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: الآية ٣٧].

تلكم سيدتنا مريم، النَّذْرُ المَقبُولُ، والسيدة البتول، وأم الرسول؛ سيدنا عيسى عليه السلام، اختار الله لكفالتها زوج خالتها سيدنا زكريا عليه السلام، فكانت نموذجًا للزهد والبعد عن الدنيا، فاستحقت أن تكون نجية الملائكة، وخير نساء العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ٤٢]، وقال ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: آسية امرأة فرعون، ومَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣١٦)، وعبد بن حميد (٥٩٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٦١)، وابن حبان في «الثقات» (٢٩٥١، ٧٠١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٥٠)، (٣/ ١٧١، ١٧٢، ٥٠٢)، وغيرهم من حديث ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، وقد جاء نحوه عن علي، كما عند البخاري (٣٢٤٩)، فالحديث صحيح.

❁ كراماتها:

مريمُ هبةٌ لعمرانَ وامرأة عمران، صالحان أنجبا صالحة، وكفلها الأصلح؛ سيدنا زكرياء عليه السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: الآية ٣٧]، وكانت والكرامات كانت تظهر على يدها وهي طفلة، أعظمهن لزومها المحراب.

مريم المحراب، مريم الطهر، مريم المصدقة بكلمات ربها وكتابه، مريم القانتة: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: الآية ٤٣]، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أنها نبية، والمهم أن تعلم النساء، وتوقن المؤمنات أن الله ﷻ كما يصطفي من الرجال عبادًا ويصطفي من النساء إماءًا، وأن باب كرمه مفتوح للمرأة كما هو مفتوح للرجل، وأن طاعته سبحانه وعبادته والقنوت إليه والجهاد في سبيله هي الأعمال التي تَشْرُفُ بها المرأة ويَشْرُفُ بها الرجل؛ لأنها أعمال خالدة، تموت الحضارات ويبعث الخلق فرادى ما يجدون عند مولاهم إلا ما قدموا[١].

هذا وإن الكرامات التي ظهرت على مريم وهي في المحراب؛ هيأتها لقبول معجزتها الخارقة لنواميس الكون والحياة، حتى تستيقن ولا تهون، وهي تواجه قومها حينما تمثل لها سيدنا جبريل بشرًا سويًّا، ونفخ في جيب درعها من روح الله، حتى ولجت في فرجها، وكان منها الحمل روحًا من عند الله، وتم ذلك وهي يقظى، حتى لا تقع في هواجس الشك أن يكون

---

(١) عبد السلام بن ياسين في «تنوير المؤمنات» (٢/ ٢٨) بتصرف يسير.

أو جنٌّ أصابها وهي نائمة[١].

فما قصة هذا الحمل؟ وكيف كان الوضع؟

❁ حملها:

لما بشرتها الملائكة بسيدنا عيسى عليه السلام، أخبرها سيدنا جبريل بأنه رسول الله ليهب لها غلامًا زكيًّا، فتعجبت سيدتنا مريم فور تلقيها البشرى وقالت: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾، [مريم: الآية ٢٠، ٢١] إنها رحمة من الله تفضل بها على مريم التي أصبحت وهي حامل، وقد بدأت مظاهر الحمل تظهر عليها، على يقين تام بأن حملها كان نتيجة نفخة من روح الله، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: الآية ١٢].

نهانا الله عن تلويث ديننا بالقبيحة العظمى (الزنا) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: الآية ٣٢]، ومدح سبحانه مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخ فيها سبحانه من روحه كما نفخ في آدم عليه السلام، المحصنات عفة قبل الزواج لهن من الطهارة نصيب مريمي[٢].

❁ مخاضها:

قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

---

(١) انظر المصدر السابق بتصرف يسير.

(٢) «تنوير المؤمنات» (٢/ ٨٦) بتصرف يسير.

وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]، سبحان الله لما تفرغت مريم للعبادة ولم يكن لها ولد، كان الله يأتيها بالرزق الوفير، وفي لحظة وضعها أمرها أن تأخذ بالأسباب وتهز الجذع ليتساقط الرزق رطبًا جنيًّا، ثم يخبرها أن الله قد أجرى تحتها جدولًا يتدفق منه الماء؛ لتشرب ولترتوي بعد أن تأكل الرطب الذي يعد من أنفع الطعام للنفساء[1].

إذا وقفنا وقفة تأمل، وقفة استحياء للنموذج الكامل من سيرة هذه السيدة الطاهرة، وكيف أن الله نقلها من مقام لمقام، فهي في ارتقاء دائم، إلى أن بلغت كمال الرشد بأمومتها، روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ...**»[2].

فيا من تبغي الكمال اقتحمي سباقًا مع أبناء الدنيا، وعين قلبك على من ضربهم الله لنا نموذجًا على درجة الكمال، مريم ابنة عمران وصويحباتها، فما يرفع المرأة إلى القداسة إلا أمومتها، وكأنه سبحانه يبين لنا السبيل الذي ينبغي للمرأة أن تسلكه وبه يعرفها دورها الأساس ووظيفتها الأولى: حفظ الفطرة وصناعة الرجال.

❊ العمل يخبر عن نفسه:

وتم الوضع، واكتملت رسالة مريم، وتحققت البشرى. لكن كيف تخبر قومها خبر هذه البشارة، وهي التي لم يشفع لها عندهم ما عرفوا من عفتها

---

(١) «نساء صالحات» (ص ٢٥).

(٢) تقدم.

وطهرها؟ وبينما هي تفكر فيما تقول للناس، إذ بالعمل يخبر عن نفسه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: الآية ٢٩، ٣٠].

هذا عمل سيدتنا مريم عليها السلام أشارت إليه فأخبر عن نفسه.

فما عملنا؛ لنشير إليه وندعوا الناس وندخره غدًا عند رب الناس؟

قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: ... أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١)، فالولدُ خَلْقُ الله وعمل الإنسان.

رضي الله عن سيدتنا مريم وأرضاها فقد كانت وابنها حقًّا آية للعالمين.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

OBEIKAN.COM

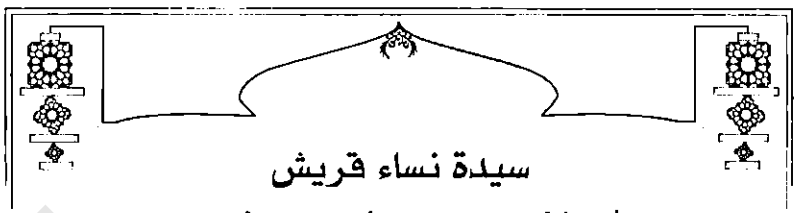

سيدة نساء قريش

أُمّ المُؤمنين السَيِّدةُ خَديجةُ ﵂

مقدمة:

كانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها من المحسنات اللواتي ظهرتْ نجابتُهن منذ عهدٍ بعيد، فهي شريفة قريش، وأم المؤمنين وزوج النبي ﷺ، وهي أول امرأة تزوجها، وأول خلق الله إسلامًا بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة[١]، وقد لُقِّبت في الجاهلية بـ(الطاهرة)، وعُرفت بالسيرة الكريمة، فكان أن اختارتها العنايةُ الربّانية لتكون زوجةً بارَّةً مخلصة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وأم المؤمنين السيدة خديجة ﵂، هي: خديجة بنت خويلد بن أسدٍ بن عبد العزَّى بن قصي من الذؤابة، وأمها فاطمة بنت زائدة بنت جندب، ولدت بمكة (٦٨ق.هـ/ ٣ق.هـ)، وكانت من أعرق بيوت قريش نسبًا وحسبًا وشرفًا، وقد نشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة، وكان من صفاتها الجزم والعقل والعفة، يلتقي نسبها بنسب النبي ﷺ في الجد الخامس، فهي أقرب أمهات المؤمنين إلى النبي ﷺ.

---

(١) ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٨٩) بتصرف يسير.

OBEIKAN.COM

❁ حالها في الجاهلية:

في الجاهلية وقبل لقاء رسول الله ﷺ كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها امرأة ذات مال وتجارة رابحة، فكانت تستأجر الرجال لتجارتها، وتبعثهم بها إلى الشام، ومرت الأيام ووصل إلى مسامعها ذكر «محمد بن عبد الله» كريم الأخلاق، الصادق الأمين، وكان قل أن تسمع في الجاهلية بمثل هذه الصفات، فأرسلت إليه وعرضت عليه الخروج في مالها تاجرًا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار.

وحينها قَبِلَ ذلك منها ﷺ، وخرج في مالها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام، وهناك نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة، وقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال ميسرة: هذا الرجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ولما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فربح المال ضعف ما كان يربح أو أكثر.

وأخبرها ميسرة عن كرم أخلاقه ﷺ، وصفاته المتميزة التي وجدها فيه أثناء الرحلة، فرغبت في الزواج منه، وتحكي السيدة نفيسة بنت منية قصة هذ الزواج؛ فتقول:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ امرأة حازمة جلدة شريفة أوسط قريش نسبًا وأكثرهم مالًا، وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها، وبذلوا لها الأموال؛ فأرسلتني دسيسًا إلى محمد بعد أن رجع من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن

تتزوج؟

فقال: «**ما بيدي ما أتزوج به**»، قلت: فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألَا تجيب؟

قال: «**فمن هي؟**»، قلت: خديجة.

قال: «**وكيف بذلك؟**»، قلت: عليّ.

قال: «**وأنا أفعل**»، فذَهَبْتُ فأَخْبَرتُها، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها - وقيل: إن الذي أنكحه إياها أبوها خويلد - فحضر ودخل رسول الله ﷺ في عمومته، فتزوجها، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة[1].

وكان قد قدِّر لأم المؤمنين خديجة ﷺ أن تتزوج مرتين قبل أن تتشرَّف بزواجها من رسول الله ﷺ، وهي وإن كانت تزوجت مرتين، إلا أنها لم تطلَّق مرتين، بل مات عنها زوجاها، وكان زواجها الأول من عتيق بن عائذ ابن عبد الله بن مخزوم، وولدت له جارية، فهي أم محمد بن صيفي المخزومي، ثم خلف عليها بعد عتيق بن عائذ أبو هالة التميمي، وهو من بني أسد بن عمرو بن تميم، فولدت له هندًا، وقيل: العكس في هذا الترتيب، وقيل: إن أبا هالة التميمي اسمه هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم[2].

---

(١) المصدر السابق، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٧٤).

(٢) أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٧٥١)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٨٩) بتصرف.

OBEIKAN.COM

وتزوجها رسول الله ﷺ قبل الوحي، وعاشت معه خمسًا وعشرين سنة - رُبع قرن - فقد بدأ معها في الخامسة والعشرين من عمره، وكانت هي في الأربعين، وظلَّا معًا إلى أن توفاها الله وهي في الخامسة والستين، وكان عمره ﷺ في الخمسين، وهي أطول فترة أمضاها النبي مع هذه الزوجة الطاهرة من بين زوجاته جميعًا، وهي وإن كانت في سن أمه ﷺ، فقد كانت أقرب الزوجات إليه، فلم يتزوج عليها غيرها طيلة حياتها، وكانت أم ولده الذكور والإناث إلا إبراهيم عليه السلام، فإنه من مارية القبطية، فكان له منها ﷺ: القاسم، وبه كان يُكنّى، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة[1].

❁ إسلامها:

كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قد ألقى الله في قلبها صفاء الروح، ونور الإيمان، والاستعداد لتقبل الحق، فحين نزل على رسول الله ﷺ في غار حراء: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: الآية ١] رجع ترجف بوادره وضلوعه حتى دخل على خديجة، فقال: «**زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٢٧) وغيره من حديث الحسين بن علي، وفي إسناده أبو بلال الأشعري، قال الدارقطني فيه: لين.
وأخرجه عبد الرزاق (١٣٩٩٧)، وابن أبي شيبة (٢٧١٨٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٦/ ٣٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠٠)، وغيرهم من طرق عن قتادة، ويحيى بن أبي كثير مرسلًا، عن النبي ﷺ، وقد قال بعض أهل العلم: بأن مراسيل قتادة، ويحيى، من أهون المراسيل، فالحديث لا يصح، والله أعلم.

وهنا قال لخديجة: «**أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي**»، وأخبرها الخبر، فردت عليه خديجة بما يطيب من خاطره ويُهَدِّأُ من رَوْعِه، فقالت: «كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ».

ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى.

فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**»، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[1].

ثم أرادت ﵂ أن تتيقن وتتثبت مما جاء به رسول الله ﷺ؛ فرغم أنها تعلم أنه حق، وقالت له: «كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا... إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة ﵂.

أنها أرادت اليقين كما قال إبراهيم لربه ﷻ: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠]، قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير: أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله ﷺ:

أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال ﷺ: «**نعم**»، فبينا رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه جبريل، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل قد جاءني**»، فقالت: أتراه الآن؟ قال: «**نعم**»، قالت: اجلس على شقي الأيسر، فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «**نعم**»، قالت: فاجلس على شقي الأيمن، فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «**نعم**»، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**»، قال: فتحسرت وألقت خمارها، فقالت: هل تراه؟ قال: «**لا**» قالت: ما هذا شيطان، إن هذا لملك يا ابن عم، اثبت وأبشر، ثم آمنت به وشهدت أن الذي جاء به الحق[1].

وعن ابن إسحاق أيضًا قال: وكانت أم المؤمنين خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصَدَّقَ بما جاء به، فَخَفَّفَ الله بذلك عن رسول الله ﷺ، لا يسمع شيئًا يكرهه من رَدٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه؛ إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتُخَفِّفُ عنه وتُصَدِّقُهُ، وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها[2].

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٢٣٨)، والطبري في «التاريخ» (١/ ٥٣٣)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٣٥) من طريق إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، قال: حُدثت عن خديجة، وهذا إسناد ضعيف؛ لعدم معرفة الواسطة بين إسماعيل وخديجة رضي الله عنها.

(٢) ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١١٢)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٢٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٠٢).

وعن أول إسلامها يحكي يحيى بن عفيف فيقول: جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما ارتفعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل القبلة، فقام مستقبلها، فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجدًا، فسجدا معه.

فقلت: يا عباس، أمر عظيم! فقال لي: أتدري من هذا الشاب؟ فقلت: لا، فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، هذا ابن أخي، وقال: تدري من هذا الغلام؟ فقلت: لا، قال: علي بن أبي طالب، هذا ابن أخي، هل تدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة ابنة خويلد زوجة بن أخي، هذا حديثي: «**أن ربك رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه**»، ولا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1].

خديجة العفيفة الطاهرة:

كان أول ما يبرز من ملامح أم المؤمنين خديجة ﷺ الشخصية: صفتي العفة والطهارة، هاتان الصفتان التي قلما تسمع عن مثلهما في بيئة لا تعرف

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٣٧)، وأبو يعلى في «المسند» (١٥٤٧)، وغيرهم من طريق أسد بن عبد الله البجلي، عن يحيى بن عفيف، عن أبيه به، ويحيى بن عفيف، قال الحافظ فيه: مقبول، وأسد بن عبد الله في حديثه لين.

حرامًا ولا حلالًا... في بيئة تفشت فيها الفاحشة حتى كان البغايا يضعن شارات حمراء تنبئ بمكانهن... في بيئة جاهلية ويكفي ما تحويه هذه الصفة، وما تعبر عنه...

وفي ذات هذه البيئة ومن بين نسائها انتزعت هذه المرأة العظيمة هذا اللقب الشريف، ولقبت بـ«الطاهرة»، كما لقب ﷺ أيضًا في ذات البيئة بـ«الصادق الأمين»، ولو كان لهذه الألقاب سمع أو انتشار في هذا المجتمع آنذاك لما كان لذكرها ونسبتها لأشخاص بعينهم أهمية تذكر.

❊ أم المؤمنين خديجة... الحكيمة العاقلة:

وتلك هي السمة الثانية، أو الملمح الآخر الذي تميز به شخص أم المؤمنين خديجة ﵂، فكل المصادر التي تكلمت عن أم المؤمنين خديجة ﵂ وصفتها بـ«الحزم والعقل»، وكيف لا؟ وقد تجلت مظاهر حكمتها وعقلانيتها منذ أن استعانت به ﷺ في أمور تجارتها، وكانت قد عرفت عنه الصدق والأمانة.

ثم كان ما جاء في أبلغ صور الحكمة وذلك حينما فكرت في الزواج منه ﷺ، بل وحينما عرضت الزواج عليه في صورة تحفظ ماء الوجه؛ حيث أرسلت السيدة نفيسة بنت منية دسيسًا عليه بعد أن رجع من الشام؛ ليظهر وكأنه هو الذي أرادها وطلب منها أن يتزوجها.

وكونها ﵂ من أوسط قريش نسبًا، وأكثرهم مالًا، وكان كل قومها حريصًا على الزواج منها، وكان منهم من قد طلبها وبذل لها الأموال... ثم هي ترفض كل ذلك، وليس هذا فقط بل ترغب في الزواج، وممن؟ من

OBEIKAN.COM

محمد، ذلك الفقير... المسكين... اليتيم...!!! وهذا في حد ذاته عين الحكمة.

فلم تكن أم المؤمنين خديجة ﵂ مراهقة حتى يقال: أنها شغفت به، بل كانت آنذاك في الأربعين من عمرها، وهو مبلغ العقل والحكمة في الرجال والنساء، ولم تكن أم المؤمنين خديجة ﵂ تعرفه منذ زمن بعيد، حتى يقال: أنها ألفته، أو كانت تعرفه عن قرب، فإن بعثة تجارة الشام الوحيدة، وحكاية ميسرة عنه هي التي عرَّفتها به[١].

ثم هي وبعد الزواج نرى منها كمال الحكمة، وكمال رجاحة العقل، فها هي تستقبل أمر الوحي الأول بعقلانية؛ قل أن نجدها في مثل هذه الأحوال بالذات؛ فقد رفضت أن تفسر الأمر بخزعبلات أو أوهام، بل استنتجت بعقليتها الفذة وحكمتها التي ناطحت السحاب يوم ذاك أن الله لن يخزيه، لماذا يا أمي، يا أم المؤمنين خديجة ﵂؟ وكيف استنتجتِ ذلك...؟

❁ فكان الجواب:

إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المعْدومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ... إذ أن من وفقه الله لمثل ذلك، وتخلق بمثل هذه الأخلاق - في رأيها - فلن يخزيه الله أبدًا ثم أخذته إلى ورقة بن نوفل ليدركا الأمر، وهذه طريقة عقلانية منطقية، بدأت بالمقدمات وانتهت بالنتائج المترتبة على هذه المقدمات، فيا لها من عاقلة، ويا لها من حكيمة!!

---

(١) الدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ١١).

❁ **فضائلها رضي الله عنها - (خير نساء الجنة) -:**

لا شك أن امرأة بمثل هذه الصفات لا بد وأن يكون لها من الأفضال الكثير والكثير، والذي يُعَدُّ في بعض الأحيان كنوع من رد الاعتبار لشخصها رضي الله عنها، فها هو الرسول ﷺ يعلن في أكثر من مناسبة بأنها خير نساء الجنة، فيروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**»(١).

وفي رواية أخرى مفصلة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(٢).

بل وجاء أيضًا أنها رضي الله عنها من أفضل نساء العالمين، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٩)، ومسلم (٢٤٣٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣١٦)، وعبد بن حميد (٥٩٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٩٧)، وأبو يعلى (٣٧٢٢)، وغيرهم من طرق عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وعلباء: صدوق، فالإسناد حسن.

(٣) الحديث يروي عن أنس بن مالك من وجهين:

الوجه الأول: رواه ثابت البناني، عن أنس، والإسناد إليه حسن.

الوجه الثاني: رواه عبد الرزاق عن معمر، واختلف عليه؛ فرواه الجماعة، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن أنس به. =

OBEIKAN.COM

ومن فوق سبع سماوات يقرئها ربها السلام، ليس هذا فحسب، بل يقرئها المولى ﷻ السلام من فوق سبع سماوات، ويبشرها ببيت من قصب في الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ**»(١).

ويعلنها الرسول ﷺ صراحة لزوجاته من بعدها «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**»(٢).

فكان حقًّا لهذه الطاهرة هذا الفضل، وتلك المكانة عند رسول الله ﷺ تسمو على كل العلاقات، وتظل غرة في جبين التاريخ عامة، تاريخ العلاقات الأسرية خاصة؛ إذ لم يتنكَّر ﷺ لهذه المرأة التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، بل ويعلنها على الملأ، وبعد وفاتها، وفاءً لها وردًّا لاعتبارها: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**».

= وخالف الجماعة أحمد بن حنبل؛ فرواه أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، كما عند الترمذي (٣٨٧٨)، وأحمد (١/ ٤٦٦)، (٣/ ١٣٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ١٤٠)، وابن حبان (٦٩٥١) وغيرهم.
فأرى - والله أعلم - أن رواية الجماعة مقدمة على رواية أحمد بن حنبل؛ خاصة أن من بين الجماعة: ابن معين، والإسناد إليه حسن، فيكون الراجح عن عبد الرزاق قول من يقول: عن معمر، عن قتادة، عن أنس، وهذا إسناد صحيح، غير أن أهل العلم تكلموا في رواية معمر عن قتادة من ناحية السماع، فيكون هذا الإسناد الراجح عن عبد الرزاق معلول، ولكن الحديث يصحح لشواهده، ومن شواهده: حديث ابن عباس السابق.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**»(١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه ﷺ لم يكد ينساها طيلة حياته وبعد وفاتها؛ إذ كان يكثر ذكرها ويتصدق عليها، وتروي أيضًا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «**إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**»(٢).

وقد وصل من وفائه ﷺ لها أنه تعاهد بالبر لأصدقائها بعد وفاتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُتِيَ بالشَّيء يَقُولُ: «**اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلانَةٍ فَإِنَّها كَانَت صَدِيقةُ خَدِيْجةَ**»(٣).

وأيضًا تروي أم المؤمنين عائشة في ذلك فتقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٧، ٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥).

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٠٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٠٤)، والبزار (٦٨٦٨)، وغيرهم من طريق المبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس به، والمبارك بن فضالة متكلم فيه، ووصف بالتدليس، ولم يصرح هنا بالتحديث، ولكن يشهد له حديث عائشة السابق.

OBEIKAN.COM

جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَنْتِ؟**» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «**بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟**» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «**إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١).

فما أروع هذه الزيجة!! وما أروع هذين الزوجين!! وكأن الله خلقهما لتأتم بهما الدنيا كلها، ويأتم بهما كل زوج وزوجة يريدان إصلاحًا وفلاحًا، فهذا هو آدم في شخص النبي ﷺ، وهذه حواء في شخص أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهذه هي الزيجة الربانية... كما أرادها الله، وكما طبقها رسول الله ﷺ...

❋ أم المؤمنين خديجة نصير رسول الله ﷺ:

وهذه السمة من أهم السمات التي تُميز شخص أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، تلك التي وهبت نفسها ومالها وكلّ ما ملكت لله ولرسوله ﷺ، ويكفي في ذلك أنها آمنت بالرسول وآزرته ونصرته في أحلك اللحظات التي قلما تجد فيها نصيرًا أو مؤزرًا أو معينًا... في أولى لحظات الرسالة.

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٢٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٢)، والبيهقي في «الأدب» (١/ ٧٤) من طريق صالح بن رستم، عن أبي مليكة، عن عائشة به، وصالح بن رستم مختلف فيه، والراجح ضعفه، ولكن للفقرة الأولى شواهد تصح بها، منها حديث أنس بن مالك وعائشة السابقين، والله أعلم.

OBEIKAN.COM

فآمنت حين كفر الناس، وصدقت حين كذّب الناس، وواسته بالأنس والمال حين نفر عنه الناس، تلك هي امرأة الشدائد؛ فكانت تمثل أعلى القيم الأخلاقية والإيمانية تجاه زوجها ﷺ، فقدمت كل ما تملك.

لقد عاشت معه ﷺ حلو الحياة ومرها، وكانت فيها نِعْمَ الأنيس ونِعْمَ النصير، فقد كان شخص النبي ﷺ كزوج مثل غيره من الأزواج؛ إذ لم يكن محاطًا من أهوال الدنيا ومصائبها بسياج من الحماية أو الأمن أو الدعة، فتارة تحلو الحياة، فنعم الحامدة الشاكرة هي، وتارة تكشر عن أنيابها وتبرز وجهها الآخر، فكانت هي هي أم المؤمنين خديجة... تؤازره، وتشاركه الهم، وتواسيه، وتمسح عنه بكف من حنان كل الآلام والأحزان.

فها هي تتلقى خبره الأول يوم بدء الوحي، يوم أن جاء بكل غريب لم تسمعه أذن من قبل، يوم أن جاء بما سمعه غيرها، فقال: هذا إفك مبين، تلقته وكأنها رأت ما رآه ﷺ بأم عينها وسمعته بأم أذنها، فقالت - ما كان كالماء الزلال في اليوم الصائف الهجير: كَلَّا وَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا... إنها تعلم الأسباب، فلم تكفر العشير، وإنَّ كُفر العشير لَمِنَ النساء بمكان.

ثم هي ﵂ تنتقل مع رسول الله ﷺ من حياة الراحة والاستقرار إلى حياة الدعوة والكفاح والجهاد والحصار، فلم يزدها ذلك إلا حبًّا لمحمد ﷺ، وحبًّا لدين محمد ﷺ، وتحديًا وإصرارًا على الوقوف بجانبه والتفاني في تحقيق أهدافه، فكانت هي أم المؤمنين خديجة... امرأة الشدائد، امرأة المحنة.

فلما خرج رسول الله ﷺ مع بني هاشم وبني عبد المطلب إلى شعاب

مكة في عام المقاطعة، لم تتردد ﷺ في الخروج مع رسول الله ﷺ لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، على الرغم من تقدمها بالسن، فقد ناءت بأثقال الشيخوخة بهمة عالية، وكأنه عاد إليها صباها، وأقامت في الشِّعبِ ثلاث سنين وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى.

وكأن الله اختصها بشخصها لتكون سندًا وعونًا للرسول ﷺ في إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمَة، فكما اجتبى الله ﷻ رسوله محمد ﷺ، واصطفاه من بين الخلق كافة، كذلك قدر له في مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية من تضارعه أو على الأقل تشابهه لتكون شريكًا له في حمل هذه الدعوة في مهدها الأول، فآنسته وآزرته وواسته بنفسها ومالها في وقت كان الرسول ﷺ في أشد الاحتياج لتلك الدعوة والمواساة والمؤازرة والنصرة.

ومن خلال ملامح شخصيتها السابقة هذه نستطيع - وبكل قوة - أن نصفها بملمح آخر يجمع ويعبر عن كامل شخصيتها، ألا وهو: أم المؤمنين خديجة، الزوجة المثالية، فهي بالفعل أم المؤمنين، وقدوة المؤمنات، تلك التي جَسَّدت خُلُقَ المرأة المثالية في علاقتها مع زوجها من المودة والسكن، والحبّ والوفاء، والبذل والعطاء، وتَحَمُّل المحن والشدائد دون تأفف أو تضجر، فليت ثم ليت نساء المسلمين يقفون أثرها، ويحذون حذوها، ويخطون خطاها.

تلك الزوجة الصالحة التي يمكن أن تدفع زوجها إلى مدارج الكمال ومراتب العظمة، فكما يقولون: وراء كل عظيم امرأة، فتُرى ما دورها؟ لا

شك أن دورها هو نفسه دور أم المؤمنين خديجة ﵂، تواسيه، تخفِّف عنه، تشاركه آلامه وأحزانه، تخفف عنه أعباء الحياة، تدفعه إلى البطولة والعظمة.

فالمرأة الصالحة لا تقدَّر بثمن، وقد روي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»(١)، وروي أيضًا عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِك**»(٢)، وتلك كانت أهم صفات أم المؤمنين خديجة ﵂.

❁ وفاتها ﵂:

تاقت روح أم المؤمنين خديجة ﵂ إلى بارئها، وكان ذلك قبل هجرته إلى المدينة المنورة بثلاث سنوات، ولها من العمر خمس وستون سنة، وأنزلها رسول الله ﷺ بنفسه في حفرتها وأدخلها القبر بيده.

ففي السنة العاشرة أو ذي القعدة، وقيل: النصف من شوال توفي أبو طالب، وكان عمره بضعًا وثمانين سنة، توفيت بعده أم المؤمنين خديجة بثلاثة أيام، وقيل: بشهر، وقيل: كان بينهما شهر وخمسة أيام، وقيل: خمسون يومًا، ودفنها رسول الله ﷺ بالحجون، ولم تكن الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٣٢٣٢)، وأحمد (٢/١٦٨)، وابن حبان (٤٠٣١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١٩٨)، من طرق عن عبد الله ابن عمر ﵄ به، فالحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه الطيالسي (٣٤٤٤)، والبزار (٨٥٣٧)، وغيرهما عن أبي هريرة به، وفي الإسناد نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر، ضعيف.

OBEIKAN.COM

على الجنائز يومئذ، وقيل: إنها ماتت قبل أبي طالب.

وكان عمرها خمسًا وستين سنة، وكان مقامها مع رسول الله ﷺ بعد ما تزوجها أربعًا وعشرين سنة وستة أشهر، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف[١].

ويشاء الله أن يتزامن وقت وفاتها والعام الذي توفي فيه أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي كان أيضًا يدفع عنه ويحميه بجانب أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فلقد حزن الرسول ﷺ ذلك العام حزنًا شديدًا حتى سُمي بعام الحزن، وحتى خُشي عليه ﷺ ومكث فترة بعدها بلا زواج[٢].

ومن أبلغ ما جاء في أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأود أن أختم به هذه القصة وهذا الرباط المبارك ما ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ تقول:

كَانَ رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَ خَدِيجَةَ، قُلْتُ: لَقَدْ أَخْلَفَكَ اللَّهُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، تقول عائشة: فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ ﷺ تَمَعُّرًا مَا كُنْتُ أَرَاهُ مِنْهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَإِذَا رَأَى الْمَخِيلَةَ حَتَّى يَعْلَمَ أَرَحْمَةٌ أَوْ عَذَابٌ[٣].

---

(١) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ١٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (١/ ١١).

(٢) ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٦٠)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٣٥).

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٠٠٨) وغيره بإسناد صحيح، وقد أخرجه البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٦٤٣٥) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَح لِذَلِكَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْت خُوَيْلِد**»، قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: ومَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، =

وتقول أيضًا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَالِاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ إِلَى أَنْ قُلْتُ: قَدْ عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتِ؟! وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي**»، فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا[1].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

= حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا».

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٧)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٣)، وغيرهم من طرق عن عائشة رضي الله عنها به، بإسناد يحسن بمجموع طرقه.

OBEIKAN.COM

الريحانة

فَاطِمَةُ بِنْتُ النَبِي ﷺ

مقدمة

هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشية سيدة نساء الأمة، وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ، أمها خديجة بت خويلد بن أسد القرشية سيدة سيدات بيت النبوة، لقبت بالزهراء، وكانت تكنى أم الحسن وأم الحسين، وكان يطلق عليها أم أبيها، وزوجها هو علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، وابناها هما الحسن والحسين سيدا فتيان الجنة(١).

وُلدت فاطمة رضي الله عنها سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وأنكح رسول الله ﷺ فاطمة علي بن أبي طالب بعد وقعة أحد، وقيل: إنه تزوجها بعد أن ابتنى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزوجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكان سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفًا، وكانت سن عليّ إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر(٢).

ومن هنا فلا صحة لما جاء من أن مولدها كان قبل البعثة بخمس سنين،

---

(١) أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» (١/ ٧٦)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٦).

OBEIKAN.COM

وإن تعددت الروايات في ذلك؛ لأن كل الروايات تشير إلى أن زواجها كان في المدينة بعد غزوة أحد، ليس هذا فقط بل لقد حددت أغلب الروايات سنها يوم تزويجها، وأنها كانت في الخامسة عشرة من عمرها، ومن هذه العملية الحسابية نستنتج أنها لم تولد قبل البعثة بل ولدت بعد البعثة بعام واحد، وكان عمر الرسول ﷺ واحدًا وأربعين سنة.

فرغم الاختلاف في تحديد سنها يوم تزوجها - وهو بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة - إلا أني لم أعثر على رواية تقول: إن عمرها يوم تزويجها كان واحدًا وعشرين عامًا، وهو المفترض أن يكون لها إذا كانت قد ولدت قبل البعثة بخمس سنين على حسب الرواية المغلوطة.

وكانت فاطمة رضي الله عنها أصغر بنات رسول الله ﷺ؛ حيث كانت زينب الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة الزهراء، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا منها؛ فإن الذكور من أولاده ماتوا صغارًا، وأما البنات: فإن رقية رضي الله عنها ولدت عبد الله بن عثمان فتوفي صغيرًا، وأما أم كلثوم فلم تلد، وأما زينب رضي الله عنها فولدت عليًّا ومات صبيًّا، وولدت أمامة بنت أبي العاص فتزوجها علي ثم بعده المغيرة بن نوفل، وقال الزبير: انقرض عقب زينب[1].

❁ زواجها من علي رضي الله عنه:

وفي قصة زواجها يقول علي بن أبي طالب: خطبت فاطمة إلى

---

(١) ذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٧٠)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٢٣٩)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٢٢) موقوفًا على الزهري.

رسول الله ﷺ، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك، فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جِئْتَ رَسُول اللَّهِ ﷺ زوجك.

فو الله ما زالت ترجيني حتى دَخَلْتُ عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ - وكانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة - فلما قعدت بين يديه أفحمت، فو الله ما أستطيع أن أتكلم، فقال: «**مَا جاءَ بكَ؟ ألكَ حَاجة؟**» فسكت، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» قلت: نعم، قال: «**وَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شيء تَسْتَحِلُّهَا به؟**» فقلت: لا، والله يا رسول الله فقال: «**مَا فعلتَ بالدِّرعِ التي سَلَّحْتُكَهَا؟**» فقلت: عندي والذي نفس علي بيده إنها لحطميّة ما ثمنها أربعمائة درهم، قال: «**قَدْ زوجتكَ، فَابْعثْ بِهَا**»، فإن كانت لصداق فاطمة بِنْت رَسُول اللَّهِ ﷺ[1].

واختلف في مهره إياها، فروي أنه أمهرها درعه، وأنه لم يكن له في ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل: إن عليًّا تزوج فاطمة ﷺ على أربعمائة وثمانين، فأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثها في الطيب، وزعم أصحابنا أن الدرع قدمها علي من أجل الدخول بأمر رسول الله ﷺ إياه ذلك[2].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٧٨)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١/ ٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٣٤)، وغيرهم من طريق مجاهد، عن علي به، ومجاهد لم يسمع من علي ﷺ فالإسناد ضعيف.

(٢) «بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار» (١/ ٢٧)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦١٢).

OBEIKAN.COM

وفي تأسيس بيت الزوجية لبنت رسول الله ﷺ يقول ابن عباس: لما زوج رسول الله ﷺ عليًّا لفاطمة كان فيما جهزت به: سرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وتور من أدم، وقربى، قال: وجاؤوا ببطحاء فطرحوها في البيت[١].

وبعد الزواج قال علي لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم: اكفي بنت رسول الله ﷺ الخدمة خارجًا وسقاية الماء الحاج، وتكفيك العمل في البيت العجن والخبز والطحن، قال أبو عمر: فولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، ولم يتزوج عليٌّ عليها غيرها حتى ماتت[٢].

❁ مواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

كانت فاطمة رضي الله عنها من قلب رسول الله ﷺ بمكان؛ إذ كانت من أحب الناس إليه، كيف لا وهي بن من رزقه الله حبها، وهي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكانت أشبه الناس بها، فلما ماتت كانت تقوم مقام أمها في تخفيف الآلام والأحزان عنه ﷺ، وتساعده في شؤون حياته ومعيشته، حتى وبعد زواجه وزاجهما رضي الله عنهما.

وفي ذلك يروي سهل بن سعد فيقول: جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٥١٠)، وفي «فضائل علي» (١٢٥) من حديث ابن عباس، وفي الإسناد إليه سهيل بن خلاد العبدي: مقبول، ولكن له شاهد من حديث علي رضي الله عنه، كما عند أحمد (١/ ٨٤، ٩٣، ١٠٤)، وابن حبان (٦٩٤٧) بنحوه، والإسناد إليه حسن.

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٦١٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٤٨).

وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ ﷺ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنه يَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى إِذَا صَارَ رَمَادًا أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ(١).

وكانت رضي الله عنها تستعين به وتستشيره ﷺ في قضاء حوائجها، لعلمها بأنه سيخفف عنها ويدلها على الخير، وفي ذلك يروي زوجها عليٌّ رضي الله عنه فيقول:

شَكَتْ فَاطِمَةَ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ عليٌّ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ: «**مَكَانَكِ**» فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(٢).

وفي رواية أخرى يقول أبو هريرة رضي الله عنه: أَتَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ: لَهَا: «**الَّذِي جِئْتِ تَطْلُبِينَ أَحَبُّ إِلَيْكِ أَمْ خَيْرٌ مِنْهُ؟**» قَالَ: فَحَسِبْتُ أَنَّهَا سَأَلَتْ عَلِيًّا، قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٧٩٠)، ولفظة: «حتى إذا صار رمادًا» عند مسلم وحده. والإسناد إليه حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧) من حديث علي رضي الله عنه.

فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»[(١)].

ولقد كان من أهم مواقفها مع أبيها ﷺ ما يرويه المسور بن مخرمة من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب بنت أبي جهل وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحًا ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ، قَالَ الْمِسْوَرُ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي، فَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ مُضْغَةٌ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا، وَإِنَّهَا، وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا»**، قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ[(٢)].

وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ قال عَلَى الْمِنْبَرِ: **«إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنَ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»**[(٣)].

وفي أيامه الأخيرة ﷺ كان لها هذا الموقف الفريد الذي ترويه لنا زوجته

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٣١)، من طرق عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) مع خلاف لبعض الألفاظ عند البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

أم المؤمنين عائشة ﵂ فتقول: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟! فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ، بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ، فَنَعَمْ.

أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟**»، قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ[1].

وفي مشهده الأخير ﵂ وهو على فراش الموت كان لها هذا الموقف يقول أنس ﵁: لَمَّا تَغَشَّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْكَرْبُ، كَانَ رَأْسُهُ فِي حِجْرِ فَاطِمَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاكَرْبَاهُ لِكَرْبِكَ الْيَوْمَ يَا أَبَتَاهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ﵂، وَقَالَ: «**لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ يَا فَاطِمَةُ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠).

فَلَمَّا تُوُفِّيَ قَالَتْ فَاطِمَةُ: وَأَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، وَأَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ، وَأَبَتَاهُ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، وَأَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ أَنْعَاهُ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا دَفَنَّاهُ مَرَرْتُ بِمَنْزِلِ فَاطِمَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟![1].

❁ من مواقفها مع الصحابة ﷺ:

مع أبي بكر ﷺ:

وذلك حين توفي رسول الله ﷺ، وجاءته تطلب إرثها، فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَ وَرِثْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْ أَهْلُهُ؟ قَالَ: بَلْ أَهْلُهُ، قَالَتْ: فَمَا بَالُ سَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا أَطْعَمَ اللَّهُ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ، جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ بَعْدَهُ؛ فَرَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَتْ: أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ[2].

❁ أثر الرسول ﷺ في تربيتها:

لقد كان لرسول الله ﷺ المعلم والمربي تأثيرًا كبيرًا في شخص ابنته فاطمة ﷺ، فمن يوم أن جاء جبريل ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤]، وقام ﷺ وقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) دون قوله: «وأبتاه من ربه ما أدناه قال أنس: مررت بمنزل فاطمة». فهي عند ابن حبان (٦٦٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤)، والبزار في «المسند» (٥٤)، وأبو يعلى (٣٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ٣٠٣)، إسناده حسن.

OBEIKAN.COM

أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[(١)]. وفاطمة تعلم أنه لن ينفعها ولن ينجيها من عذاب الله إلا عملها.

يروي ثوبان رضي الله عنه فيقول: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها وَأَنَا مَعَهُ، وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ عُنُقِهَا سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَتْ: هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا فَاطِمَةُ أَيَسُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَفِي يَدِكِ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ؟»**، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَعَمَدَتْ فَاطِمَةُ إِلَى السِّلْسِلَةِ، فَاشْتَرَتْ غُلَامًا فَأَعْتَقَتْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ»**[(٢)].

ميز شخص بنت رسول الله ﷺ كثير من الصفات والملامح، كيف لا وقد شهدت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في أكثر من مناسبة بأنها شبيهة أبيها ﷺ، الذي وصفه ربه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: الآية ٤]، فتميزت بالآتي:

❁ الأصدق لهجة:

ويروى في ذلك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذُكرت فاطمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطيالسي (١٠٨٣)، وابن راهويه في «المسند» (٢١٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٥)، إسناده صحيح.

بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها[١].

❁ والأشد حياءً:

فإذا كان مربيها ومن أشبهته ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فكيف نتوقع أن تكون هي رضي الله عنها؟ فلقد بلغ من شدة حيائها رضي الله عنها أنها كانت تخشى أن يصفها الثوب بعد وفاتها، وأنها استقبحت ذلك كثيرًا حتى جعلت لها أسماء بنت عميس نعشًا، وهو أول ما كان النعش آنذاك، ثم الأكثر من ذلك أنها رضي الله عنها أمرت أسماء أن تغسلها هي وزوجها فقط، وأن لا تُدخل عليها أحدًا، فكانت رضي الله عنها أول من غُطِّيَ نعشها من النساء في الإسلام.

فعَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: يَا أَسْمَاءَ، إِنِّي قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ فَيَصِفُهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلا أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ! فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطِبَةٍ فَحَنَّتْهَا ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَا أَحْسن هَذا وَأَجملَهُ! تعْرَف بِهِ المَرْأة من الرجال، فإذا أنا مِتّ فاغْسليني أنتِ وعلِيٌّ، وَلا تُدْخِلِي عَلَيَّ أَحَدًا[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧٥)، وفي إسناده علي بن مهران الرازي مختلف فيه، قال أبو إسحاق الجوزجاني: كان رديء المذهب غير ثقة، وقال ابن عدي: لا أعلم فيه إلا خيرًا، ولم أر له حديثًا منكرًا. اهـ. فأرى - والله أعلم - أن حديثه لا يحسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٤)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦١٤)، وفي الإسناد أم جعفر بنت محمد بن جعفر: مقبولة، قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب».

هذا إذا كان الحال بعد الوفاة... فماذا إذن حال الحياة؟!... فياليت نساء اليوم يسمعن ويرين... لَيْتَهُن يعِشْنَ وفاة فاطمة إن عزَّ عيش حياتها... لَيْتَهُن لَمْ يَتَّخِذْنَ اسمَهَا ويَتْرُكْنَ فِعْلَهَا.

❁ وترضى بأقل القليل وهي من هي؟

فهي ﵂ وإن كانت تعلم أنها ابنة سيد الرسلين، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم، إلا أنها لم تطمع في الحياة، ولم تطمح نفسها إلى الخيال بالعيش الراغد والحياة الهنيئة، بل إنها قد ضُرب بها المثل في زواجها اليسير، والمهر القليل المؤنة، فقد كان مهرها درع، وأساس متاعها ما هو إلا سرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وتور من أدم، وقربى، يقول علي ﵁: «لَقَدْ تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ وَمَا لِي وَلَهَا فِرَاشٌ غَيْرُ جَلْدِ كَبْشٍ كُنَّا نَنَامُ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَنَعْلِفُ عَلَيْهِ النَّاضِحَ بِالنَّهَارِ، وَمَا لِي خَادِمٌ غَيْرُهَا»(١).

وبعد زواجها ﵂ عاشت حياة بسيطة متواضعة، فهي تطحن وتعجن خبزها بيديها مع إدارة كافة شؤون بيتها الأخرى، إضافة إلى واجبات زوجها عليها كما تعلمتها في بيت أبيها ﷺ، ثم هي وبعد أن أَثَّرَ الرَّحَى في يديها تأتي رسول الله ﷺ ليعينها بخادم، فيكون رده عليها ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُحَمِّدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ**»(٢).

---

(١) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٧٥٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٢) من طريق مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٨)، وأحمد (١/ ٨٠، ١٥٣).

OBEIKAN.COM

فضائلها:

لا يستغرب إذن على مثل هذه الشخصية العظيمة أن يورد فضلها الكثير من الأحاديث والروايات التي تبرز مكانتها رضي الله عنها في هذه الأمة، وكان من هذا ما يلي:

١ - أحب أهل رسول الله ﷺ إليه:

فعن أُسَامَةُ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَأَتَانِي الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ فَقَالَا لِي: يَا أُسَامَةُ اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْعَبَّاسَ وَعَلِيًّا يَسْتَأْذِنَانِ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَاجَتُهُمَا؟**» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، قَالَ: «**لَكِنِّي أَدْرِي، ائْذَنْ لَهُمَا**» فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ أَيُّ أَهْلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ**»، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ نَسْأَلُكَ عَنْ فَاطِمَةَ قَالَ: «**فَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ**»(١).

٢ - شجنة من رسول الله ﷺ:

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا فَاطِمَةُ شُجْنَةٌ مِنِّي يَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا، وَيَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨١٩)، والطيالسي (٦٦٨)، والبزار (٢٦٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٥٨)، وغيرهم من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن: وهو مقبول، ولم أقف له على متابع.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٧)، ومسلم (٢٤٤٩) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**»، وعند مسلم: «**يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**».

٣ - من خير نساء العالمين:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وآسيةُ امرأةُ فِرْعَونَ**»(١).

وفي رواية أخرى، عن أنس أيضًا: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآسِيَةُ امرأة فرعون**»(٢).

٤ - وسيدة نساء أهل الجنة:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي: مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي، فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**»، فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ، قَالَ: «**مَا لَكَ؟**»، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: «**غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) والحديث أخرجه الترمذي (٣٧٨١)، وأحمد (٥/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة =

OBEIKAN.COM

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسيةُ بنتُ مزاحمٍ امرأة فرعون**»[(١)].

٥ - تختص بمن ينادي يوم القيامة... غضوًا:

فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قِيلَ: «**يَا أَهْلَ الْجَمْعِ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ فَتَمُرُّ وَعَلَيْهَا رِيطَتَانِ خَضْرَاوَانِ**». قَالَ: أَبُو مُسْلِمٍ: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: وَكَانَ مَعَنَا عِنْدَ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَنَّهُ قَالَ: حَمْرَاوَانِ[(٢)].

❁ من الأحاديث التي روتها:

وكان مما روته رضي الله عنها عن أبيها ﷺ أنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ**

= (٣٢٩٣٧)، وغيرهم من طريق زر بن حبيش، عن حذيفة به، بإسناد حسن وللجملة الأخيرة شاهد عند البخاري (٣٦٢٤) تصح به.

(١) وقد تقدم في ترجمة خديجة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٨٨) (١٦/ ٢٥٤)، و«العلل المتناهية» (١/ ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥)، وقد ذكر ابن الجوزي في «العلل المتناهية» عدة طرق للحديث، وقال رحمه الله: هذا حديث لا يصح من جميع طرقه، وقد ذكر رحمه الله أسباب ضعف الحديث، ولكن لا يسع المقام لذكر كلامه بالنص.

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»[١].

❁ موقف الوفاة:

يقول ابن عباس ﷺ: قَدْ مَرِضَتْ فَاطِمَةُ مَرَضًا شَدِيدًا فَقَالَتْ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: أَلَا تَرَيْنَ إِلَى مَا بَلَغْتُ أُحْمَلُ عَلَى السَّرِيرِ ظَاهِرًا؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: أَلَا لَعَمْرِي، وَلَكِنْ أَصْنَعُ لَكِ نَعْشًا كَمَا رَأَيْتُ يُصْنَعُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، قَالَتْ: فَأَرِنِيهِ، قَالَ: فَأَرْسَلَتْ أَسْمَاءُ إِلَى جَرَائِدَ رَطْبَةٍ، فَقُطِّعَتْ مِنَ الْأَسْوَافِ وَجُعِلَتْ عَلَى السَّرِيرِ نَعْشًا وَهُوَ أَوَّلُ مَا كَانَ النَّعْشُ، فَتَبَسَّمَتْ فَاطِمَةُ، وَمَا رَأَيْتُهَا مُتَبَسِّمَةً بَعْدَ أَبِيهَا إِلَّا يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ حَمَّلْنَاهَا وَدَفَنَّاهَا لَيْلًا[٢].

وفي رواية أوضح بعض الشيء عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: يَا أَسْمَاءَ، إِنِّي قَدِ اسْتَقْبَحْتُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ، إِنَّهُ يُطْرَحُ عَلَى الْمَرْأَةِ الثَّوْبُ فَيَصِفُهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، أَلَا أُرِيكِ شَيْئًا رَأَيْتُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ! فَدَعَتْ بِجَرَائِدَ رَطِبَةٍ فَحَنَّتْهَا ثُمَّ طَرَحَتْ عَلَيْهَا ثَوْبًا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: مَا أَحْسن هَذا وَأَجملَهُ! تُعْرَفُ بِهِ الْمَرْأة من الرجال، فإذا أنا مِتّ فاغْسليني أنتِ وعلِيٌّ، وَلا تُدْخِلِي عَلَيَّ أَحَدًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٣)، وأبو داود (٤٦٥)، والنسائي (٧٢٨) من حديث أبي أُسيد، وأخرجه الترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١) من حديث أبي هريرة، فالحديث صحيح: دون قوله: «**بسم الله اللهم اغفر لي ذنوبي**».
وأخرجه أحمد (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣)، وأبو يعلى (٦٨٢٢) من حديث فاطمة، والإسناد إليها لا يصح، فيه ليث بن أبي سليم: ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧٧)، وفي الإسناد محمد بن عمر الواقدي: متروك.

تقول: فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ جَاءَتْ عَائِشَةُ تَدْخُلُ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: لا تَدْخُلِي، فَشَكَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: إِنَّ هَذِهِ الْخَثْعَمِيَّةَ تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بنت رسول الله ﷺ، لقد جَعَلَتْ لَهَا مِثْلَ هَوْدَجِ الْعَرُوسِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَوَقَفَ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ، ما حملك على أن منعتْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدْخُلْنَ عَلَى بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلْتِ لَهَا مِثْلَ هَوْدَجِ الْعَرُوسِ؟ فَقَالَتْ: أَمَرَتْنِي أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَأَرَيْتُهَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُ، وَهِيَ حَيَّةٌ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أَصْنَعَ ذَلِكَ لَهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٌ: فَاصْنَعِي مَا أَمَرَتْكِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَغَسَّلَهَا عَلِيٌّ وَأَسْمَاءُ(١).

قَالَ أَبُو عُمَرَ: فاطمة ﵂ أول من غطي نعشها من النساء فِي الإسلام عَلَى الصفة المذكورة فِي هَذَا الخبر، ثم بعدها زينب بنت جحش ﵂، صنع ذلك بها أَيْضًا(٢).

وماتت فاطمة ﵂ بنت رَسُول اللَّهِ ﷺ، وكانت أول أهله لحوقًا به، وصلى عليها عَلِيُّ بْن أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ الَّذِي غسلها مَعَ أسماء بنت عميس، وكانت أشارت عَلَيْهِ أن يدفنها ليلًا، وقد قيل: إنه صلى عليها العباس بْن عبد المطلب ودخل قبرها هُوَ وعلي، والفضل، ولم يخلف رسول الله ﷺ من بنيه غيرها(٣).

وعن محمد بن عمر قال: تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ لِثَلَاثِ لَيَالٍ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٤)، وفي الإسناد أم جعفر بنت محمد بن جعفر: مقبولة، ولم أقف لها على متابع، والحديث قد تقدم.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٦١٤)، بإسناد ضعيف، وقد تقدم.

(٣) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦١٤).

خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهَا، فَرُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَأَمَّا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا قَالَتْ فِيمَا رُوِيَ عَنْهَا: أَنَّهَا تُوُفِّيَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَا رَوَى يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْهُ، قَالَ: تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ. قال محمد بن عمر: وهذا أثبت عندنا[١].

وقد اختلف فِي سنها وقت وفاتها، فذكر الزُّبَيْر بْن بكار أن عَبْد اللَّهِ بْن الحسن ابن الحسن دخل عَلَى هشام بْن عبد الملك وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله ابن الحسن: يَا أبا مُحَمَّد، كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن؟ فَقَالَ: ثلاثين سنة، فَقَالَ هشام للكلبي: كم بلغت من السن؟ فَقَالَ: خمسا وثلاثين سنة، فَقَالَ هشام لعَبْد اللَّهِ بْن الحسن: يَا أبا مُحَمَّد، اسمع، الكلبي يقول مَا تسمع، وقد عني بهذا الشأن، فَقَالَ عَبْد اللَّهِ بْن الحسن: يَا أمير المؤمنين، سلني عَنْ أمي، وسل الكلبي عَنْ أمه[٢].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٢)، ومحمد بن عمر هو الواقدي.
(٢) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦١٤).

OBEIKAN.COM

الفصل الثاني
صَحَابِيَّاتٌ طَاهِرَاتْ

امتثلن لتعاليم الدين الإسلامي...

وطبقن أوامره، واجتنبن نواهيه...

بكل سماحة وشفافية...

ففازت كل واحدة منهن...

برفقة الحبيب في الدنيا والآخرة بإذن الله...

فتعالي معي نقرأ خطواتهن...

عسى الله أن يلحقنا بهم في روضات جناته..

في مستقر رحمته...

آمين يا رب العالمين.

OBEIKAN.COM

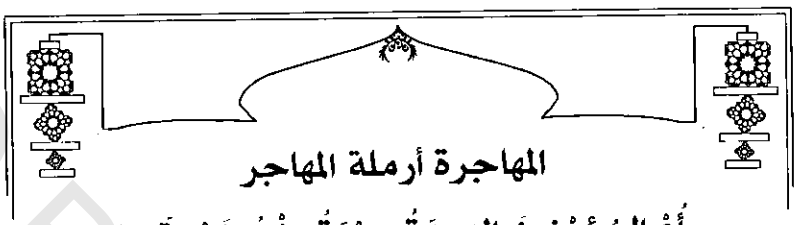

المهاجرة أرملة المهاجر

أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَيدَةُ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ﵂

مقدمة:

هي سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين، وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة ﵂، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو النجارية.

إسلامها:

أسلمت قديمًا وبايعت، وكانت عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، وأسلم أيضًا، وهاجروا جميعًا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل: مات بالحبشة، فلما حلت خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها[1].

زواجها من النبي ﷺ:

عن ابن عباس قال كَانَت سَوْدَة بنت زَمعَة عِنْد السَّكْرَان بن عَمْرو أخي سُهَيْل بن عَمْرو فرأت فِي الْمَنَام كَأَن النَّبِي ﷺ أقبل يمشي حَتَّى وطىء على

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٥٣)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٣)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٨٠).

OBEIKAN.COM

عُنُقهَا فَأخْبرت زَوجهَا بذلك فَقَالَ لَئِن صدقت رُؤْيَاك لأموتن وليتزوجنك مُحَمَّد ثمَّ رَأَتْ فِي الْمَنَام لَيْلَة أُخْرَى أن قمرًا انقض عَلَيْهَا من السَّمَاء وَهِي مُضْطَجِعَة فَأخْبرت زَوجهَا فَقَالَ: لَئِن صدقت رُؤْيَاك لم ألبث إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى أَمُوت وتتزوجين من بعدِي، فاشتكى السَّكْرَان من يَوْمه ذَلِك فَلم يلبث إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ وَتَزَوجهَا رَسُول الله ﷺ[1].

قَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الأَوْقَصِ، امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَذَلِكَ بِمَكَّةَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تَزَوَّجُ؟ فَقَالَ: «**وَمَنْ؟**»، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «**فَمَنِ الْبِكْرُ؟**»، قَالَتِ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «**وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**»، قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَالَ: «**فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ**»، فَجَاءَتْ فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ.

ثم خرجتُ، فدخلتُ على سودة فقلتُ: يا سودة ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة!

قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه، قالت: وردت ادخلي على أبي فاذكري ذلك له، قالت: وهو شيخ كبير قد تخلف عن الحج فدخلت عليه، فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة، قال: إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم فماذا

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٥٦، ٥٧) من طريق هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس به؛ ومحمد بن السائب: متهم بالكذب، وأبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب: ضعيف.

تقول صاحبتك، قالت: تحب ذلك، قال: ادعيها، فدعتها، فقال: إن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفء كريم أفتحبين أن أزوجك قالت: نعم، قال: فادعيه لي، فدعته فجاء فزوجها[١].

❁ موقف أخيها عندما تزوجها رسول الله ﷺ:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: تزوج رَسُول اللَّه ﷺ سودة بِنْت زمعة، فجاء أخوها عَبْد بْنُ زمعة من الحج، فجعل يحثو التراب فِي رأسه، فَقَالَ بعد أن أسلم: إني لسفيه يَوْم أحثو فِي رأسي التراب أن تزوج رَسُول اللَّه ﷺ بسودة بِنْت زمعة[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث يرويه محمد بن عمرو بن علقمة واختلف عليه، فرواه محمد بن بشر عن ابن علقمة عن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: لما هلكت خديجة... الحديث، وهذا إسناد مرسل؛ لأن أبا سلمة، ويحيى بن حاطب لم يحضرا وفاة خديجة رضي الله عنها، أخرجه من هذا الوجه أحمد (٦/ ٢١٠)، وابن راهويه في «المسند» (١١٦٤) وغيرهما.

وخولف محمد بن بشير من يحيى القطان، والقطان أثبت وأوثق منه، فرواه القطان، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عائشة به، وهذا إسناد حسن، فمحمد بن علقمة مختلف فيه، والراجح عندي أنه ضعيف، ولكن بعض أهل العلم يحسن حديثه، خاصة في «السيرة»، والله أعلم، أخرجه من هذا الوجه الطبري في «التاريخ» (٢/ ٢١١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٠٦، ٣٠٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٧، ٢٧٩) وغيرهم، فالإسناد حسن، والله أعلم.

(٢) انظر الحديث السابق.

OBEIKAN.COM

❁ أهم ملامح شخصيتها رضي الله عنها:

حبها للصدقة:

عن أم المؤمنين عائشة قَالَتِ: اجْتَمَعَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا أَسْرَعُ لَحَاقًا بِكَ؟ قَالَ: أَطْوَلُكُنَّ يَدًا. فَأَخَذْنَا قَصَبَةً نذرعها فكانت سودة بنت زمعة بن قَيْسٍ أَطْوَلَنَا ذِرَاعًا. قَالَتْ: وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَسْرَعَنَا بِهِ لَحَاقًا فَعَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّمَا كَانَ طُولُ يَدِهَا الصَّدَقَةَ. وَكَانَتِ امْرَأَةً تُحِبُّ الصَّدَقَةَ(١).

فطنتها:

آثرت بيومها حب رسول الله تقربًا إلى رسول الله وحبًّا له وإيثارًا لمقامها معه فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله رضي الله عنها، فعن عائشة أن سودة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبتغي بذلك رضى رسول الله ﷺ(٢).

وعن أنس بن مالك قال: طلق رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة فقعدت له على طريقه بين المغرب والعشاء ثم قالت: يا رسول الله، أرجعني فوالله ما بي حب الرجال لكني أحب أن أحشر في أزواجك ويومي لعائشة، فردها رسول الله ﷺ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٣).

(٣) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٢/٢٩)، بإسناد حسن، ولبعض فقراته شواهد تصح بها.

OBEIKAN.COM

❊ من مواقفها مع الرسول ﷺ:

عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال قدم بأسارى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب قالت: قدم بالأسارى فأتيت منزلي فإذا أنا بسهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه فلما رأيته ما ملكت نفسي أن قلت أبا يزيد أعطيتكم بأيديكم ألا متم كرامًا قالت: فوالله ما نبهني إلا قول رسول الله من داخل البيت أي سودة أعلى الله وعلى رسول الله، قلت: يا رسول الله، والله إن ملكت نفسي حيث رأيت أبا يزيد أن قلت ما قلت[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: ماتت شاة لنا فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شنًا[(٢)].

وعن عائشة قالت: استأذنت سودة بنت زمعة رسول الله ﷺ أن يأذن لها فتدفع قبل أن يدفع فأذن لها وقال القاسم، وكانت امرأة ثبطة، قال القاسم: الثبطة الثقيلة فدفعت وحبسنا معه حتى بدفعه، قالت عائشة: فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة فأدفع قبل الناس، أحب إليَّ من مفروح به[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٨٢)، وابن أبي شيبة (٣٧٨٤٥)، وغيرهما من طريق يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زرارة، وهو من الرابعة، وقد ضعفه الشيخ الألباني كما في «ضعيف أبي داود».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٦) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن سودة رضي الله عنها به، وقد حدث خلاف على عكرمة، فقد رُوي عنه على أكثر من وجه، ولكن الدارقطني رجح طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن عكرمة الذي في «الصحيح»، كما في «العلل» (١٥/٢٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٠)، والنسائي (٣٠٣٧)، وابن ماجه (٣٠٢٧) من طرق =

OBEIKAN.COM

❁ مواقفها مع الصحابة رضي الله عنهم:

موقفها مع عمر رضي الله عنه:

روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: ﴿إِنَّهُ قَدْ أَذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ﴾[1].

موقفها مع أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها:

قالت عائشة: دخلت على سودة بنت زمعة فجلست ورسول الله ﷺ بين وبينها، وقد صنعت حريرة فجئت بها، فقلت: كلي، قالت: ما أنا بذائقتها، فقلت: والله لتأكلين منها أو لألطخن منها بوجهك، فقالت: ما أنا بذائقتها، فتناولت منها شيئًا فمسحت بوجهها فجعل رسول الله يضحك وهو بيني وبينها، فتناولت منها شيئًا لتمسح به وجهي، فجعل رسول الله يخفض عنها ركبته وهو يضحك لتستقيد مني، فأخذت شيئًا فمسحت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك[2].

= عن القاسم بن محمد، عن عائشة به.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩٥)، ومسلم (٢١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٦٨) =

موقفها مع أم المؤمنين عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما:

عن خليسة مولاة حفصة في قصة حفصة، وعائشة مع سودة بنت زمعة ومزحهما معها بأن الدجال قد خرج فاختبأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا وجاء رسول الله فقال: «**مَا شَأْنُكُمَا؟**» فأخبرتاه بما كان من أمر سودة فذهب إليها، فقالت: يا رسول الله أخرج الدجال، فقال: «**لا وكأن قد خرج فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض العنكبوت**»(١).

❁ بعض ما روته عن النبي ﷺ:

روى البخاري بسنده عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شنا(٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع أن يحج قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه قبل منه؟ قال: «**نعم**»، قال: «**اللَّه أَرْحَمُ حُجَّ عَنْ أَبِيكَ**»(٣).

= من طرق عن عائشة به، بإسناد حسن.

(١) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٣٢٠)، وفي الإسناد محمد بن عمارة: لين الحديث، فالإسناد ضعيف.

وأخرجه أبو يعلى (٧١٦٠) من طريق رزينة مولاة رسول الله ﷺ، وفي إسناده راويين لم أقف لهما على ترجمة، وذكره ابن كثير في «السيرة النبوية» (٤/ ٦٤٤)، وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٦١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٦)، وقد تقدم في ترجمة سودة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه النسائي (٢٦٣٧)، وأحمد (٦/ ٤٢٩)، والدارمي (١٨٧٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦/ ٣٧١)، وغيرهم من طرق عن مجاهد، عن يوسف بن الزبير، عن سودة به، وفي بعض الطرق عن مجاهد، عن يوسف بن الزبير، عن =

OBEIKAN.COM

وعنها ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الْآذَانِ**»، فقلت: يبصر بعضنا بعضًا؟ فقال: «**شغل الناس** ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: الآية ٣٧]»(١).

وعنها ﵂ أنها نظرت في ركوة فيها ماء فنهاها رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنهُ الشَّيْطَانَ**»(٢).

❁ أثرها في الآخرين:

ممن روى عنها من صحابة النبي ﷺ: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير بن العوام ﵄، وممن روى عنها من التابعين: يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن، ويوسف بن الزبير، ومولى الزبير بن العوام(٣).

= ابن الزبير به، بإسقاط سودة، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن يوسف بن الزبير: مقبول، ولم أقف له على متابع، ولكن للحديث شواهد يحسن بها، منها: حديث الفضل بن العباس عند مسلم (١٣٣٥).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٩) من طريق محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة ﵂ به، وقد جود إسناده الحافظ ابن كثير كما في «البداية والنهاية» (١٩/ ٣٧٤)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٢٤): رجاله ثقات.
قلت: وللحديث شواهد يحسن بها.
وحسن الحديث لغيره الشيخ الألباني، كما في «الترغيب والترهيب»، وللحديث شواهد كثيرة يصحح بها، منها: حديث ابن عباس، وعائشة ﵄ كلاهما عند البخاري (٣٤٤٧، ٦٥٢٧)، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٧٣٩) من حديث سودة ﵂ وفي الإسند عتبة ابن أبي الحكم صدوق يخطئ كثيرًا.

(٣) «تهذيب الكمال» للمزي (٣٥/ ٢٠١).

OBEIKAN.COM

❁ **وفاتها رضي الله عنها:**

توفيت أم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٠١).

OBEIKAN.COM

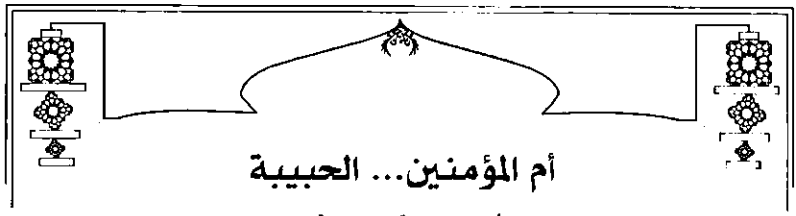

أم المؤمنين... الحبيبة
عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِيْ بَكْرٍ رضي الله عنهما

مقدمة

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، وأشهر نسائه وأمها أم رومان ابنة عامر الكنانية، التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ**»(١).

كنيتها: أم عبد الله، ولُقِّبت بالصديقة، وعُرِفت بأم المؤمنين، وبالحميراء لغلبة البياض على لونها(٢).

ولدت رضي الله عنها سنة تسع قبل الهجرة، ومن إشارة بعض المصادر إلى أن النبي ﷺ توفي عنها وعمرها ثماني عشرة سنة يتبين لنا أنها ولدت قبل

---

(١) مرسل: والحديث يرويه حماد بن سلمة، واختلف عليه في الوصل والإرسال؛ فرواه ابن أبي عدي، عن حماد بن سلمة، عن بن زيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة متصلًا، كما عند الدارقطني في «العلل» (١٤/ ٢٣٢).
وخولف ابن أبي عدي من عفان بن مسلم، وزيد بن هارون فروياه عن حماد بن سلمة به مرسلًا، كما عند ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧٦)، وأبي نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٤٩٨) وغيرهما، وقد رجح الدارقطني الإرسال كما في «العلل» (١٤/ ٢٣٢) عندما سئل عن هذا الحديث.

(٢) «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٣٨٧).

OBEIKAN.COM

الهجرة بسبع سنين وليس تسع.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»: ولما توفي النبي ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة[١].

❁ حالها في الجاهلية:

ولدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الإسلام ولم تدرك الجاهلية، وكانت من المتقدمين في إسلامهم.

إلا أن ابن إسحاق عند سرده أسماء من أسلم قديمًا من الصحابة رضي الله عنهم قال: «. . . وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة»[٢].

وقد روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين[٣].

❁ قصة زواجها من النبي ﷺ:

أولًا: مرحلة الخطوبة:

في بيت الصدق والإيمان ولدت، وفي أحضان والدين كريمين من خيرة صحابة رسول الله ﷺ تربت، وعلى فضائل الدين العظيم وتعاليمه السمحة نشأت وترعرعت. . .

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٢).

(٢) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٩٧)، ومسلم (١٦١٦).

OBEIKAN.COM

هذه هي أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق ﵄، وحسبها أن تكون ابنة أبي بكر الصديق ليُنزلها رسول الله ﷺ من قلبه وبيته أعز مكان...

نشأت ﵂ منذ نعومة أظفارها في ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وشهدت في طفولتها أشد المراحل التي مرت بالدعوة الإسلامية وما تعرض له المسلمون من أذى واضطهاد.

ولقد كانت أم المؤمنين عائشة - كغيرها من الأطفال - كثيرة اللعب والحركة، لها صويحبات تلعب معهن، كما أن لها أرجوحة تلعب عليها...

وقد تمت خطبتها لرسول الله ﷺ وهي بنت سبع سنين وتزوجها وهي بنت تسع... ونظرًا لحداثة سنها فقد بقيت تلعب بعد زواجها فترة من الزمن...

روي عنها أنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب بالبنات، فقال: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**» قُلْتُ: خَيْلُ سُلَيْمَانَ، فَضَحِكَ[1].

كما روي عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وكنت ألعب بالبنات، وكن جواري يأتينني، فإذا رأين رسول الله عليه الصلاة والسلام ينقمعن منه، وكان النبي يُسَرُّ بِهِنَّ إلي[2].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٦٢)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٧٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٤٠).

OBEIKAN.COM

ولذا كانت أم المؤمنين السيدة عائشة تنصح الآباء والأمهات أن يعطوا الأطفال حقهم في اللعب والحركة، فتقول: «**فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الصريحة على اللهو**»[١]، فللطفل حاجات نفسية لا يتم إشباعها إلا باللعب واللهو والمرح، وهذا يساعد على النمو السليم المتكامل.

وقد ذكرت لنا رضي الله عنها كيف تمت هذه الخطوبة المباركة، بل إنها تذكر أدق ما فيها من تفاصيل؛ وما ذاك إلا لأنها تمثل لها أجمل وأحلى ذكرياتها التي تحن إليها، كيف لا وهي ذكريات لقائها بزوجها الحبيب الذي أحبته أعظم الحب، وعاشت معه أسعد السنوات، فإذن لتلك الذكريات في قلبها أعظم مكان وأربحه.

فنستمع إليها وهي تروي لنا هذه الخطبة المباركة فتقول: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: «**ومن؟**»، قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا؟ قال: «**مَنِ الْبِكْرُ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟**»، قالت: أما البكر فعائشة بنت أحب خلق الله إليك، وأما الثيب فسودة بنت زمعة، وقد آمنت بك واتبعتك.

فقال: اذكريهما علي، قالت: فأتيت أم رومان فقلت: يا أم رومان، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت رسول الله ﷺ يذكر عائشة، قالت: انتظري فإن أبا بكر آت، فجاء أبو بكر فذكرت ذلك له فقال لها: قولي لرسول الله فليأت فجاء فملكها[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٠)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) تقدم في ترجمة سودة رضي الله عنها.

ثم إنها تعرض لنا ﵂ الخطوة الثانية في هذه الخطبة فتقول: فأتتني أم رومان وأنا على أرجوحة ومعي صواحبي، فصرخت بي فأتيتها وما أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي فأوقفتني على الباب، فقلت: هه هه حتى ذهب نفسي، فأدخلتني بيتًا فإذا نسوة من الأنصار فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر[1].

وهكذا نلاحظ رواية أم المؤمنين عائشة لأدق تفاصيل تلك الخطبة الكريمة، خطبتها لرسول الله عليه الصلاة والسلام، حتى إنها لتذكر أنها كانت تلعب قبلها على الأرجوحة، بل إنها تذكر أنها قد لهثت وتتابعت أنفاسها بسبب جريها وسرعتها في تلبية نداء أمها، وإنّنا لنستشف من ذلك عظم مكانة تلك الذكريات عندها وتقديرها البالغ لأمها - رغم حداثة سنها - وذلك بترك اللعب مع الصويحبات والاستجابة للنداء.

وهذا ما ينبغي أن تربي الأمهات أطفالهن عليه، فللأم مكانة عظيمة واحترام كبير ينبغي أن يربي الطفل وينشأ عليه منذ نعومة أظفاره لتعظم في نفسه مكانة الأم، ولترسخ في ذهنه حقوقها عليه وواجبه تجاهها.

ولكن هل كان ما روته أم المؤمنين السيدة عائشة هو أول مراحل هذه الخطبة؟ لقد كان هذا ما تعتقده أم المؤمنين ﵂ حتى حدثها رسول الله ﷺ أن خطبته لها كانت وحيًا من الله تعالى.

فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة: «**أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ**

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٢)، وأبو داود (٤٩٣٥).

عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُمْضِهِ»[١].

فلم يتزوج رسول الله بأم المؤمنين عائشة فور خطبتها، ولعل ذلك يرجع إلى صغر سنها، فرسول الله ﷺ لم يرض أن ينتزع الصبية اللطيفة من ملاهي صباها أو يثقل كاهلها بمسؤوليات الزوج وأعبائه، كما إن رسول الله ﷺ كان مشغولًا بالمصاعب الجمة التي مرت به.

وقد أحب رسول الله عليه الصلاة والسلام خطيبته الصغيرة كثيرًا، فكان يوصي بها أمها أم رومان قائلًا: «**يَا أُمَّ رُومَانَ، اسْتَوصِي بِعَائِشَةَ خَيْرًا وَاحْفَظِينِي فِيهَا**»[٢]، وكان يسعده كثيرًا أن يذهب إليها كلما اشتدت به الخطوب، وينسى همومه في غمرة دعابتها ومرحها.

وقد أحبت أم المؤمنين السيدة عائشة زيارات رسول الله ﷺ لها وأسعدها ألا يخطئ رسول الله أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية[٣].

ثم إن رسول الله ﷺ هاجر مع رفيقه أبي بكر الصديق إلى المدينة وخلفوا وراءهم في مكة آل النبي عليه الصلاة والسلام وآل أبي بكر، ولما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة أرسل من يحضر أهله وأهل أبي بكر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٥)، ومسلم (٢٤٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢١٢)، والطبراني في «تاريخ الرسل والملوك» (١/ ٥٦٩)، بإسناد صحيح.

OBEIKAN.COM

وقد تعرضت الأسرتان في طريق الهجرة لمصاعب كثيرة وأخطار عديدة أنقذتهم منها العناية الربانية، من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا مهاجرين فسلكنا في ثنية صعبة، فنفر جمل كنت عليه نفورًا منكرًا، فوالله ما أنسى قول أمي: يا عُريسة، فركب بي رأسه - كناية عن استمرار نفوره - فسمعت قائلًا يقول: ألقي خطامه، فألقيته فقام يستدير كأنما إنسان قائم تحته[1].

وقد صبروا رضي الله عنهم وتحملوا مصاعب تلك الهجرة وأخطارها تاركين خلفهم الأهل والوطن ومرابع الصبا مُضحين بذلك كله في سبيل هذا الدين العظيم، مبتغين أجرهم عند الله، وهذا خير ما ينبغي أن يتربى عليه الجيل المؤمن.

فالمسلم الحق مستعد بكل نفس راضية مطمئنة أن يضحي بكل غالٍ ونفيس في سبيل ما يعتنقه من دين عظيم ومبادئ سامية، غير مبال بما قد تؤدي إليه هذه التضحية من أخطار أو خسائر ما دام قلبه عامرًا بهذا الدين العظيم، ونفسه مطمئنة بتعاليم ربه الكريم.

وصلت العروس المهاجرة إلى المدينة المنورة، وهناك اجتمع الحبيبان، وعمت البهجة أرجاء المدينة المنورة وأهلت الفرحة من كل مكان، فالمسلمون مبتهجون لانتصارهم في غزوة بدر الكبرى، واكتملت فرحتهم بزواج رسول الله ﷺ بعائشة.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٤٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق، بإسناد صحيح.

OBEIKAN.COM

وقد تم هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة وانتقلت عروسًا إلى بيت النبوة، ولقد كانت هذا النقلة من أجمل ذكريات عائشة وأعلاها، وكون هذه النقلة في شهر شوال فقد أحبت أم المؤمنين هذا الشهر، واستحبت أن يُبنى بنسائها في شهر شوال فهو عندها شهر الخير والبركات.

وتروي لنا ﵂ استعدادها للزفاف وتجهيز أمها لها فتقول: كانت أمي تعالجني للسمنة تريد أن تدخلني على رسول الله، فما استقام لها ذلك حتى أكلت القثاء للرطب فسمنت كأحسن سمنة[١].

ثم تصف لنا وليمة العرس فتقول: والله مانحرت علي من جزور ولا ذبحت من شاة، ولكن جفنة كان يبعث بها سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ يجعلها إذ ذاك بين نسائه، فقد علمت أنه بعث بها[٢].

ولقد كانت أسماء بنت يزيد ممن جهزت أم المؤمنين عائشة وزفتها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهي تحكي لنا عن تقديمه عليه الصلاة والسلام اللبن إلى ضيوفه وإلى عروسه فتقول أسماء ﵂: زينت عائشة لرسول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها، فجاء فجلس إلى جنبها، فأتي بلبن فشرب ثم ناوله عائشة ﵂، فاستحيت وخفضت رأسها، قالت أسماء: فانتهرتها وقلت لها: خذي من يد النبي، فأخذت وشربت شيئًا، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أَعْطِي أَتْرَابَكِ**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٢٤)، عن عائشة، وفي الإسناد يونس بن بكير صدوق يخطئ.
(٢) ذكره معمر بن عبد الواحد الأصبهاني في مجلس ابن فاخر الأصبهاني (١/ ٢٦٧).
(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت وأدب اللسان» (٥٢٠)، و«مكارم الأخلاق» (١٤٩) من طريق أبي شداد عن مجاهد، عن أسماء بنت =

وتُسأل رضي الله عنها عن مهرها فتقول: كان صداق رسول الله لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشًّا - النش نصف أوقية - فتلك خمسمائة درهم، فهذا صداق رسول الله لأزواجه[١].

ثم إنها رضي الله عنها تصف جهاز حجرتها فتقول: إنما كان فراش رسول الله الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف[٢].

ولم يكن في حجرة أم المؤمنين السيدة العروس مصباح تستضيء به، دل على ذلك حديثها: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح، فسئلت: لماذا لم يكن فيها مصابيح؟ فقالت: لو كان عندنا دهن مصباح لأكلناه[٣].

= عميس، قالت: كنت صاحبة عائشة رحمها الله التي هيأتها . . . الحديث بنحوه، وهذا إسناد رجاله ثقات، سوى أبي شداد لم أقف على أحد وثقه، والصواب أنها أسماء بنت يزيد؛ لأن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة، قاله: العراقي في «تخريج أحاديث الأحياء» (٣/١٠٨).

وأخرجه أحمد (٦/٤٥٨)، وابن بشران في «الآمالي» (٢/٤١٨) من طريق شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بنحوه، وهذا إسناد ضعيف أيضًا؛ لضعف شهر بن حوشب.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/٢٦) من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن أسماء، وهذا إسناد ضعيف؛ فيه عثمان بن عطاء: ضعيف، بل قال الحاكم أبو عبد الله: أنه يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وهذا الحديث يرويه عن أبيه، وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله، كما في «الضعيفة» (٢٣٩٥).

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢، ٥١٣)، ومسلم (٥١٢). =

OBEIKAN.COM

وبعد فهذا هو وصف العروس المباركة لحفل زواجها ومهرها ومنزلها وجهازها، وبتأملنا لوصفها السابق يتبين لنا بجلاء يسر حفلة زواج رسول الله عليه الصلاة والسلام بعائشة وتواضعها وزهد مهر العروس وقلّته.

مع أن العريس هو نبي الله وخير خلقه وأحبهم إليه، والعروس هي عائشة وأبوها الصديق نسابة قريش وخير مَن وطئت قدمه الثرى بعد الأنبياء، ومع ذلك كله كان التواضع البليغ والبساط الواضحة هما السمة البارزة على الحفل والمهر، بل وعلى بيت العروسين وجهازهما كذلك.

وهذا على عكس ما يحدث في عصرنا هذا الذي انتشرت فيه المغالاة في المهور، وارتفاع تكاليف الزواج، والبذخ والإسراف البالغ في تأثيث بيت العروسين وجهازهما، وهذا الأمر لا يساعد على النكاح، بل إنه أثر سلبًا في أفراد المجتمع...

تلك المظاهر الجوفاء أثقلت كاهل الغني فضلًا عن الفقير الذي حاول مجاراة الغني نزلًا على التقاليد فركبه الدَّيْنُ، والدين ذل في النهار وهمّ في الليل، إن كان ما زاد على النفقة المشروعة في النكاح فهو ما لا يقره الشرع.

وقد ظهرت ثمرة هذه المغالاة وهذا السرف، وهي إما عزوف الشباب عن النكاح وإما خروج المرأة من سترها الذي فرضه الله عليها لتستطيع

= دون جملة «لو كان عندنا دهن مصباح لأكلتاه» فإنها عند الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٦٠) من طريق عدي بن الفضل وهو متروك، وأما جملة «لماذا لم يكن فيها مصابيح» فلم أقف عليها إلا من قول ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٥٩٠) بدون إسناد.

الإسهام في تحقيق أوهام النفوس التي لا تمت إلى مقاصد النكاح بصلة من الصلات فيكون الفساد الكبير.

هكذا اجتمع الحبيبان يبعث بعضهما لبعض مشاعر الحب والمودة، ويبنيان بيت الزوجية السعيد... وقد كانت أم المؤمنين عائشة ﵂ صغيرة السن لكنها كانت متفهمة للحياة المقبلة عليها، مدركة للمهمة الملقاة على عاتقها، فهي ليست زوجة عادية بل زوجة نبي، وعليها أن تساعده على نشر الرسالة السماوية وبناء أسس الدعوة الإسلامية.

❁ وقفة مع هذا الزواج:

يقول إبراهيم علي شعوط في كتابه «أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ»:

أطلق المؤرخون لأقلامهم العنان في موضوع زواج الرسول ﷺ من عائشة فقالوا: إن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة، واستجابة للوحشة الجنسية، وعبث واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة لا تعرف شيئًا من مآرب الرجال.

فذكر ابن الأثير في كتابه «الكامل» أن عائشة يوم زواجها كانت صغيرة بنت ست سنين، ثم قال: رسول الله ﷺ بنى بعائشة في المدينة وهي ابنة تسع سنين، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة.

والقصة بهذا العرض تفتح أبواب النقض، وتثير الشبهات عند من يتصيدون مواطن الطعن في رسول الله ﷺ، وينتهزون الفرص للحط من قدره بما يكتبون ويتحدثون.

OBEIKAN.COM

إن مجرد ذكر زواج رجل - أي رجل - بطفلة في سن ست سنوات يثير عاصفة السخط والاشمئزاز من هذا الرجل، لكن إذا ترك أمر السن هذا من غير ذكر وصار الأمر للعرف والعادة، وتقدير مقتضيات البيئة، فمن السهل أن توجد المبررات التي لا تثير لومًا، ولا تفتح باب الشكوك والشبهات.

ومن التجني في الأحداث أن يوزن الحدث منفصلًا عن زمانه ومكانه وظروف بيئته.

والآن صار لزامًا على كل باحث أو قارئ في موضوع زواج النبي عليه الصلاة والسلام من أم المؤمنين السيدة عائشة أن يعرف الأمور الآتية:

أولًا: أن كتب السيرة التي قدرت أم المؤمنين للسيدة عائشة تلك السن الصغيرة عند زواج النبي بها، روت بجانب هذا التقدير أمرًا أجمع الرواة على وقوعه، وهو أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها من رسول الله ﷺ على رجل آخر هو جبير بن مطعم بن عدي[1]، الذي ظل على دين قومه إلى السنة العاشرة للهجرة.

فمتى خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير؟

ليس معقولًا أن يكون خطبها وأبو بكر مسلم وآل بيته مسلمون؛ لأن مصاهرة غير المسلمين تمنعها الخصومة الشديدة والصراع العنيف بين المشركين والمسلمين.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/٥٨) من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، فهشام وأبيه متهمين بالكذب، وأبو صالح: ضعيف، والحديث قد تقدم.

فالغالب - بل المحتم - إذن أن تكون هذه الخطبة قبل بعثة الرسول، أي قبل ثلاثة عشر عامًا قضاها الرسول بمكة.

فإذا بنى بها الرسول في العام الثاني للهجرة تكون سنها - إذ ذاك - قد جاوزت الرابعة عشرة.

وهذا على فرض أن «المطعم بن عدي» خطبها لابنه في يوم مولدها، وهذا بعيد كل البعد أن خطب البنت في يوم مولدها!!

ثانيًا: أن «خولة بنت حكيم» زوج عثمان بن مظعون، التي كانت تحمل هم الرسول وتديم التفكير في شأنه بعد وفاة السيدة خديجة حين ذهبت إلى النبي لتخرجه من شجوه وأحزانه، وتقول له: أفلا تزوجت يا رسول الله لتسلو بعض حزنك وتؤنس وحدتك بعد خديجة؟ وسألها رسول الله ﷺ: «**من تريدين يا خولة؟**» قالت: سودة بنت زمعة أو عائشة بنت أبي بكر[1].

والآن يستطيع القارئ أن يفهم: أن خولة حين قدمت أم المؤمنين عائشة مع سودة لرسول الله كانت تعتقد أن كلتيهما تصلح للزواج من رسول الله، وسودة ثيبًا متقدمة في السن، فبمجرد العرض على رسول الله بهذه الصورة - عرض زوجتين إحداهما متقدمة في السن وكانت تحت رجل آخر، والثانية كانت بكرًا - مجرد هذا العرض - يدل على أن خولة بنت حكيم - نفسها - تشعر بأن كليتهما صالحة تمامًا، لأن تكون زوجة.

ومعنى ذلك أن أم المؤمنين عائشة كانت في نمائها ونضوجها، واضحة معالم الأنوثة في نظر خولة على الأقل، وهي العارفة بمآرب الرجال

---

(١) تقدم في ترجمة سودة رضي الله عنها.

في النساء.

ثالثًا: كذلك نجد أن السيدة أم رومان والدة عائشة، كان اغتباطها شديدًا عندما فسخت خطبة أم المؤمنين عائشة من جبير بن المطعم كما طارت بها الفرحة لما علمت أن رسول الله قبل زواجها، وقالت لأبي بكر: هذه ابنتك عائشة قد أذهب الله من طريقها جبيرًا وأهل جبير، فادفعها إلى رسول الله تلق الخير والبركة.

إن الأم حين تطلب لفتاتها الزواج، تكون أعرف الناس بعلامات النضج في ابنتها، وتدرك ثورة الأنوثة في وليدتها، فتبدأ تتشوق إلى يوم ترى فيه ابنتها في زفافها، وفي جلوتها، كعروس إلى زوج تحب أن يكون لابنتها مصدر سعادة، يريها الحياة من نافذة الأسرة، ويدخل بها الدنيا من باب الأمهات.

وقد تكون الفتاة في سن التاسعة أو العاشرة طفلة في عقلها وتفكيرها، ولكن في بدنها امرأة كاملة الأنوثة تحن إلى الرجل، وتتمنى لو يقدر لها أن تتزوج.

كان زواج أم المؤمنين عائشة - وهي في سنها المبكرة - زواج كرامة وتكريم لأبي بكر، كما كان يراد به أيضًا توثيق الصلات بين تلك الفئة القليلة من المؤمنين بالله وسط غيابة الكفر العمياء.

OBEIKAN.COM

❁ أهم ملامح شخصيتها رضي الله عنها:

الكرم والسخاء والزهد:

أخرج ابن سعد من طريق أم ذرة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة فقلت: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه؟ فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت[١].

العلم الغزير:

فقد كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة[٢].

وقال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[٣]، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلًا وعلوًّا ومجدًا فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة.

ولولا خوف التطويل لذكرنا قصة الإفك بتمامها وهي أشهر من

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٧) من طريق أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال... الحديث، وأم ذرة ذكرها ابن حبان في «الثقات»، ووثقها العجلي، وقال ابن حجر: مقبولة.
وله شاهد عند اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/ ١٤٣٥) من طريق القاسم بن محمد قالت: سمعت ابن الزبير قال: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسخى، كانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٤٠)، وعزاه إلى ابن سعد، والإسناد إلى ابن سعد صحيح، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨٢).

OBEIKAN.COM

أن تخفى.

وروت عن النبي ﷺ كثيرًا، روى عنها ابن عمر بن الخطاب، قال: أدنوا الخيل وانتضلوا وانتعلوا وإياكم وأخلاق الأعاجم وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة تدخل الحمام إلا بمئزر إلا من سقم فإن عائشة حدثتني أن رسول الله ﷺ قال وهو على فراشي: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَضَعَتْ خِمَارَهَا عَلَى غَيْرِ بَيْتِهَا، هَتَكَتِ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

وذكر ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحدًا أروى لشعر من عروة، فقيل له: ما أرواك يا أبا عبد الله؟ قال: وما روايتي من رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرًا(٢).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢١١) وغيره عن عائشة به مطولًا، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني: ضعيف.
وأخرجه عبد الرزاق (١١٣١)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٢١)، و(٧/ ١٠٠) مختصرًا على القول المرفوع من طرق أخرى عن عائشة، والأسانيد إليها ضعيفة، ولكنها بمجموعها تحسن، والله أعلم.
وأخرجه عبد الرزاق (١٠٠٣) مختصرًا على القول الموقوف على عمر قال: «أدنوا الخيل ... من سقم»، والإسناد إليه منقطع، وقد ورد القول الموقوف على عمر مرفوعًا إلى النبي ﷺ من طرق صحابة آخرين.
(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨٣)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٨).

❁ وفي مكانتها العلمية يقول السيد سليمان الندوي:

لم تكن مكانتها العلمية وتفوقها العلمي أرفع وأسمى من عامة النساء فحسب، بل لا نحسبها قصرت عن شَأْوِ واحد من معاصريها بين الرجال والنساء على السواء في سعة الفهم وقدرة التحصيل والذكاء المتوقد والبديهة الواعية، باستثناء عدد من كبار الصحابة فقط.

ولا يقصر علمها على وعي الكلمات والعبارات، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا[(١)].

وقال عطاء بن أبي رباح والذي قد نال شرف التتلمذ على يد عديد من صحابة رسول الله ﷺ: «**كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة**».

وقال التابعي الجليل عروة بن الزبير: لتركتها - يعني عائشة - قبل أن تموت بثلاث سنين، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله ولا بسنة عن رسول الله ﷺ ولا بشعر، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها[(٢)].

وذات مرة قال معاوية: يا زياد أي الناس أعلم؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أعزم عليك، قال: أما إذا عزمت علي فعائشة[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٩٥) من طريق أبي بريدة ابن أبي موسى الأشعري، عن أبيه به، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٠٤٨)، وفي «الأدب» (٣٩٥)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥) عن سفيان بن عيينة قال معاوية: يا زياد أي الناس أعلم... الحديث، فابن عيينة لم يدرك معاوية رضي الله عنه، فالإسناد منقطع.

OBEIKANDL.COM

وقال عروة بن الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ: ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين[١].

وفي رواية أخرى: ما رأيت أحدًا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحرام ولا بحلال ولا بفقه ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة[٢].

لقد كان غيرها من أمهات المؤمنين كذلك يقمن بواجب حفظ السنة وإشاعتها وتبليغها إلا أن المكانة التي وصلت إليها أم المؤمنين عائشة ﵂ لم يصل إليها أحد غيرها، يقول محمود بن لبيد: كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيرًا، ولا مثلًا لعائشة وأم سلمة[٣].

وقال محمد بن شهاب الزهري: لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علمًا[٤]. اهـ.

تلك العظيمة التي أثارت بذكائها وغزارة علمها وفقهها وسمو أخلاقها إعجاب السلف والخلف، فعلموا يقينًا لماذا تبوأت تلك المكانة الكبيرة عند رسول الله عليه الصلاة والسلام.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١١) عن عروة، والإسناد إليه ضعيف، ولكن يشهد له الحديث السابق الذي أخرجه ابن أبي شيبة في «الأدب» (٣٩٥).

(٢) انظر الحديث السابق.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٧٥)، وفي إسناده موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث مجمع على ضعفه، وفيه أيضًا محمد بن عمر الواقدي: متروك.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢) بإسناد صحيح إلى الزهري.

OBEIKAN.COM

❁ ذات مكانة خاصة:

أخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ،، وَفَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»(١).

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه» عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ(٢).

وأخرج البخاري عن هشام عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا**»(٣).

وأخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي سلمة أنه قال: قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، وقد تقدم في أول الكتاب.
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٧٤)، ومسلم (٢٤٤١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨١، ٣٧٧٥).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: «**يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَتْ: وَهُوَ يَرَى مَا لَا أَرَى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[١].

وأخرج البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلَادَةً فَهَلَكَتْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً[٢].

وروى مسلم عن هشام أيضًا عن أبيه عن عائشة أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: «**أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟**»، اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[٣]، وفي رواية البخاري: فلما كان يومي سكن[٤].

وعن عمرو بن العاص: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «**أَبُوهَا**»[٥].

وأخرج الترمذي عن عمرو بن غالب أن رجلًا نال من عائشة رضي الله عنها عند

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٧٣)، ومسلم (٣٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣).
(٤) البخاري (٣٧٧٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).

OBEIKAN.COM

عمار بن ياسر، فقال: اغرب مقبوحًا منبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ؟[١].

وتروي هي عن نفسها فتقول ﷺ كما ذكر ابن حجر في «الإصابة»: أُعْطِيتُ خلالا ما أعطيتها امْرَأَةٌ: مَلَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَأَتَاهُ الْمَلَكُ بِصُورَتِي فِي كَفِّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَبَنَى بِي لِتِسْعِ سِنِينَ، وَرَأَيْتُ جبرائيل، وكنت أحب نسائه إِلَيْهِ، وَمَرَّضْتُهُ فَقُبِضَ وَلَمْ يَشْهَدْهُ غَيْرِي[٢].

وذكر ابن عبد البر عن أبي عمر أنه قال: لم ينكح ﷺ بكرًا غيرها، واستأذنت رسول الله ﷺ في الكنية، فقال لها: اكتني بابنك عبد الله بن الزبير - يعني ابن أختها -[٣]، وكان مسروق إذا حدث عن عائشة يقول: حدثتني الصادقة ابنة الصديق، البريئة المبرأة بكذا وكذا، ذكره الشعبي عن مسروق[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٨٨)، والطيالسي (٦٨٦) وغيرهما عن عمار بن ياسر به، والإسناد إليه لا يصح، فيه عمرو بن غالب مقبول، ولم أقف له على متابع.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٩)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٩)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٥١، ١٨٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٦٤، ٦٦)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٤٧١) وغيرهم عن عائشة، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله، كما في «الصحيحة» (١/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٤٠)، بإسناد صحيح.

OBEIKAN.COM

❁ بعض المواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

ذكر ابن سعد في «طبقاته» عن عباد بن حمزة أن عائشة قالت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلا تُكَنِّينِي؟ فقال النبي ﷺ: «**اكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللَّهِ بن الزبير**»، فَكَانَتْ تُكَنَّى بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ[١].

وذكر أيضًا عن مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبريل واقفًا في حجرتي هذه على فرس، ورسول الله يناجيه، فلما دخل قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَذَا الَّذِي رَأَيْتُكَ تُنَاجِيهِ؟ قَالَ: «**وَهَلْ رَأَيْتِهِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَبِمَنْ شَبَّهْتِهِ؟**» قُلْتُ: بِدِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتِ خَيْرًا كَثِيرًا**»، ذَاكَ جِبْرِيلُ، قَالَتْ فَمَا لَبِثْتُ إِلا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ**»، قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ، جَزَاهُ اللَّهُ مِنْ دَخِيلٍ خَيْرًا[٢].

وكذلك ذكر عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: «**إِنِّي سَأَعْرِضُ عَلَيْكِ أَمْرًا فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي بِهِ حَتَّى تشاوري أبويك**»، فقلت: وما هذا الأمر؟ قالت فتلا علي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٨]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٩].

قَالَتْ عَائِشَةُ: فِي أَيِّ ذَلِكَ تَأْمُرُنِي أَنْ أُشَاوِرَ أَبَوَيَّ؟! بَلْ أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَ: فَسُرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْجَبَهُ وَقَالَ: سَأَعْرِضُ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٥١) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٨)، وابن أبي شيبة (٣٢٩٤٥)، وغيرهما عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة به، ومجالد بن سعيد: ضعيف.

OBEIKAN.COM

عَلَى صَوَاحِبِكِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكِ، قَالَتْ: فَلا تُخْبِرْهُنَّ بِالَّذِي اخْتَرْتُ، فَلَمْ يَفْعَلْ، كَانَ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا قَالَ لِعَائِشَةَ، ثُمَّ يَقُولُ قَدِ اخْتَارَتْ عَائِشَةُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدْ خَيَّرَنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نَرَ ذَلِكَ طَلاقًا[١].

وأخرج أيضًا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يَا ابْنَ أُخْتِي، قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَخْفَى عَلَيَّ حِينَ تَغْضَبِينَ وَلا حِينَ تَرْضَيْنَ**»، فَقُلْتُ: بِمَ تَعْرِفُ ذَاكَ بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي؟ قَالَ: «**أَمَّا حِينَ تَرْضَيْنَ فَتَقُولِينَ حِينَ تَحْلِفِينَ لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا حِينَ تَغْضَبِينَ فَتَقُولِينَ لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ[٢].

ولقد كان من أهم مواقفها مع رسول الله ﷺ ما كان بعد حادثة الإفك الشهيرة، وذلك في سنة ست في غزوة بني المصطلق، وهذه تفاصيلها:

❁ حادثة الإفك:

لم يعرف النوم لها سبيلًا منذ علمت الخبر... ليلتان كاملتان لم تكف عن البكاء ولا يرقأ لها دمع حتى كاد البكاء أن يفتت كبدها... شهرًا كاملًا وهي مريضة جليسة الفراش بعد أن عادت مع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق وهي لا تعلم ماذا يدور حولها، وماذا يقول الناس عنها، وماذا في قرارة نفس رسول الله ﷺ تجاهها.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٨٥، ٢٦٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٨)، وعبد ابن حميد (١٤٨٣) من طرق عن عائشة به. بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٨)، ومسلم (٢٤٣٩) بنحوه.

OBEIKAN.COM

علمت من أم مسطح فكانت الفجيعة، وأي فجيعة من أن يتهم إنسان بريء بتهمة لم يقترفها وليس هناك أي دليل على براءته، ولا يجد أحدًا يدافع عنه؟! بل نظرات الاتهام تبدو من أعين من حوله وعلامات الشك تبدو من أحب الناس إلى قلبه!

وما أفجع أن تتهم المرأة الطاهرة العفيفة الشريفة في أعلى ما تملك؟ ومن هي؟ إنها الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج رسول الله ﷺ وأثيرة قلبه، والمدللة لديه، وابنة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، أول المؤمنين إسلامًا والخليفة الأول للمسلمين...!!

أمر لا تستطيع مفردات اللغة وصف صعوبته على النفس، لذا آثرت الصمت فالصمت في حال كتلك أبلغ من أي كلام تدافع به عن نفسها، محنة ما أشدها، وهي محنة قريبة إلى حد بعيد بتلك التي عاشتها السيدة مريم عليها السلام، لكن الله تعالى في الحالين أنزل تبرئتهما من عنده.

فما المحنة هذه ألمت بأطهر النساء!! وما التهمة التي هي براء؟!!

لقد كان من عادة النبي ﷺ إذا أراد سفرًا أو غزا عزوة أن يقرع بين نسائه، فجاءت القرعة هذه المرة على السيدة عائشة رضي الله عنها، فخرجت مع النبي ﷺ في عزوة بني المصطلق.

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها خفيفة الجسم وكانت تجلس في هودجها، وكان القوم إذا أرادوا الإقامة بمكان ما أنزلوا الهودج من على البعير، وإذا أرادوا الانتقال حملوا الهودج ووضعوه على ظهر البعير ثم ينطلقون به.

OBEIKAN.COM

وخرجت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ذات مرة من هودجها لقضاء بعض حاجتها، وكان في عنقها عقد، فانسل العقد من عنقها دون أن تشعر، فلما اقتربت من مكان الناس أحست أن العقد ليس في عنقها، فرجعت إلى المكان الذي كانت فيه لتبحث عن العقد ووجدته، فلما عادت مرة أخرى وجدت الناس قد انطلقوا وتركوا المكان وكانوا قد ظنوا أن أم المؤمنين السيدة عائشة داخل هودجها، فاحتملوا الهودج على ظهر البعير، ولخفة السيدة عائشة وقلة جسمها ظنوا أنها بالهودج، ولم يلحظوا تغييرًا في وزن الهودج.

فلما رأت ذلك تلفقت بجلبابها ثم أضجعت في مكانها، وقالت: لو افتقدوني وهم في الطريق سيعودون إلى هذا المكان، فإذا بأحد الصحابة وهو صفوان بن المعطل السلمي - وكان قد تخلف عن القوم لبعض حاجته - يرى سواد إنسان من بعيد، فتقدم وأقبل عليه، فلما اقترب منها علم أنها السيدة عائشة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والسيدة عائشة متلفقة في ثيابها ثم قال لها: ما خلفك يرحمك الله؟! فما كلمته، ثم نزل من على بعيره وقربه إليها، وقال لها: اركبي، وتأخر حتى ركبت، ثم أخذ برأس البعير وانطلق سريعًا حتى يدرك الناس.

فلما رأى الناس ذلك تكلم عدد منهم وقالوا كلامًا لا يليق بأم المؤمنين رضي الله عنها، وبهذا الصحابي الجليل، حتى وصل كلامهم إلى النبي ﷺ، وانتشر الأمر بين الناس وكان على رأس المتكلمين بهذا الإفك واتهام السيدة عائشة بما هي منه براء: عبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين.

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة في ذلك الوقت لا تعلم بشيء مما يقوله

الناس؛ لأنها ظلت مريضة نحو شهر لا تغادر فراشها بعد أن رجعت، لكنها لاحظت تغييرًا في معاملة النبي ﷺ لها، فقد كانت إذا اشتكت من وجع قبل ذلك لا يكف عن ملاطفتها والسؤال عنها، لكنه هذه المرة كان يدخل عليها وفي نفسه شيء.

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة: كان إذا دخل عليَّ وعندي أمي تمرضني قال: كيف تيكم؟ إشارة إلى السيدة عائشة دون أن يوجه لها كلامًا، لا يزيد على ذلك.

ظلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها طوال هذه الفترة لا تعلم شيئًا عما يقوله الناس عنها، ولا تعلم أن تغير النبي ﷺ تجاهها بسبب هذا الموقف، حتى خرجت ذات ليلة لقضاء حاجتها وكانت معها أم مسطح، فبينما هي تمشي معها إذا عثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقالت لها عائشة رضي الله عنها لماذا تدعين عليه؟! يكفي أنه رجل من المهاجرين وقد شهد بدرًا، قالت لها: أو ما بلغك الخبر يا ابنة أبي بكر؟ قالت: وما الخبر؟ فأخبرتها بالذي كان وما قاله أهل الإفك.

وكان مسطح هذا من الذين أشاعوا الخبر بين الناس وأساؤوا إلى السيدة عائشة.

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة: فازددت مرضًا على مرض فلما رجعت إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فسلم فقال: «**كيف تيكم**» فقلت ائذن لي إلى أبوي. قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبويَّ فقلت لأمي ما يتحدث به الناس؟ قالت: أي بنية، خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها

لها ضرائر إلا أكثرن وأكثر الناس عليها.

ولما شاع الأمر بين الناس قام النبي ﷺ في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، يقولون عليهم غير الحق فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، وقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

ثم دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما يستشيرهما، فأما أسامة فأثنى على السيدة عائشة خيرًا، وقال له: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم عنهم إلا خيرًا، وهذا الكذب الباطل، وأما علي فقال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية فإنها تصدقك.

فدعا النبي ﷺ الجارية وسألها فقالت: والله ما أعلم إلا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

ثم دخل رسول الله ﷺ على أم المؤمنين السيدة عائشة وهي في بيت أبيها وعندها امرأة من الأنصار، وكانت تبكي لبكاء السيدة عائشة، فجلس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عائشة، إنه كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، فإن كنت قد قارفت سواءً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده.

OBEIKAN.COM

❁ تقول أم المؤمنين السيدة عائشة:

فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك حتى قلص دمعي حتى ما أحس منه شيئًا ينزل، وانتظرت أبواي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما، وأيم الله، لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا من أن ينزل الله فيَّ قرآنًا في المساجد ويصلي به، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئًا يكذب به الله عني لما يعلم الله من براءتي، أو يخبر خبرًا، فأما قرآن ينزل فيَّ فوالله لنفسي أحقر عندي من ذلك، فلما لم أر أبواي يتكلمان، قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟! فقالا: والله ما ندري ما نجيبه، ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، ثم بكيت، وقلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني، ثم التمستُ اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٨].

ثم نزل الوحي على رسول الله ﷺ، وهو عند عائشة في بيت أبويها ثم سُرِّي عنه، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: «**أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك**»، فقال أبواها: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي.

ثم خرج النبي ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله تعالى من تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا

ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾. [النور: الآية ١١ - ١٩].

ثم جاء النبي ﷺ بمن طعنوا في شرف السيدة عائشة وأقام عليهم حد القذف، كان منهم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانت حمنة هذه أختًا لزينب بنت جحش زوج النبي ﷺ.

تقول أم المؤمنين السيدة عائشة: ولم تكن من نساء النبي ﷺ امرأة تناصيني في المنزلة عنده مثل زينب بنت جحش، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا، وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها، فشقيت بذلك، فلما حدث ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: الآية ٢٢].

فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، وأعاد نفقته على مسطح.

وهكذا انقشعت هذه السحابة السوداء التي ألمت ببيت رسول الله ﷺ وبخيرة نسائه وأحبهم إلى قلبه، وبرأ الله تعالى ساحة السيدة عائشة من فوق سبع سماوات، بعد أن عانت رضي الله عنها، ما عانت جراء هذه التهمة الشنيعة، لكن الله تعالى ناصر أوليائه لو بعد حين[1]. اهـ.

ذكر ابن عبد البر عن أبي عمر أنه قال: أمر النبي ﷺ بالذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها، فجلدوا الحد ثمانين، فيما ذكر جماعة من أهل السير والعلم بالخبر، وقال قوم: إن حسان بن ثابت لم يجلد معهم ولا يصح عنه أنه خاض في الإفك والقذف.

وقد روي أن حسان بن ثابت استأذن على عائشة بعد ما كف بصره فأذنت له، فدخل عليها فأكرمته، فلما خرج من عندها قيل لها: أهذا من القوم؟ قالت أليس يقول:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء

هذا البيت يغفر له كل ذنب[2].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) القصة أخرجها البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) بنحوها، وذكرها والطبري في «تاريخه» (٢/ ١١٣، ١١٤)، وابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٤٩٠، ٢٧٧٠)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٩).

OBEIKAN.COM

❁ بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

كان من أهم المواقف في حياتها ﵂ مع الصحابة ما جاء في أحداث موقعة الجمل في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، والتي راح ضحيتها اثنان من خيرة أصحاب النبي ﷺ هما: طلحة والزبير ﵄، ونحو عشرين ألفًا من المسلمين، وتفصيل ذلك وارد في موضعه.

وقد أخرج ابن عبد البر عن ابن عباس أنه قال: قال رسول ﷺ: «**أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ يُقْتَلُ حَوْلَهَا قَتْلَى كَثِيرَة وَتَنَجْو بَعْدَ مَا كَادَتْ؟**»[(١)]، وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ.

وأخرج ابن عبد البر أيضًا عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأرونيه، فلما مر ابن عمر قالوا: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلًا قد غلب عليك وظننت أنك لا تخالفينه - يعني ابن الزبير - قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت[(٢)].

❁ بعض المواقف من حياتها مع التابعين:

أخرج ابن سعد عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: دخل ابن أبي عتيق على عائشة وهي ثقيلة، فقال: يا أمه، كيف تجدينك جعلت فداك؟ قالت: هو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٩٤٠)، والبزار (٤٧٧٧)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦١٠)، بإسناد صحيح.

(٢) ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٧٥)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٩)، وعن إسماعيل بن علية، عن أبي سفيان بن العلاء، عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة... الحديث.

والله الموت، قال: فلا إذا، فقالت: لا تدع هذا على حال، تعني المزاح[١].

وأخرج المزي عن عبد الله بن كثير بن جعفر قال: اقتتل غلمان عبد الله ابن عباس وغلمان عائشة، فأخبرت عائشة بذلك، فخرجت في هودج على بغلة فلقيها ابن أبي عتيق، فقال: أي أمي، جعلني الله فداك أين تريدين؟ قالت: بلغني أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا فركبت لأصلح بينهم، فقال: يعتق ما تملك إن لم ترجعي، قالت: يا بني، ما الذي حملك على هذا؟ قال: ما انقضى عنا يوم الجمل حتى تريدي أن تأتينا بيوم البغلة![٢].

❁ أثرها في الآخرين (الدعوة - التربية):

من أبلغ أثرها في الآخرين أنها ﵂ روى عنها مائتان وتسعة وتسعون من الصحابة والتابعين أحاديث الرسول ﷺ.

وعن دورها ﵂ في التعليم والإفتاء والإرشاد: يقول السيد سليمان الندوي: إن الخدمة الحقيقية للعلم هي تبليغه إلى الآخرين واستخدامه في مجال تزكية النفوس وإصلاح الأمة وإرشادها إلى الصراط المستقيم، ولذلك جاء أمر النبي ﷺ بكل صراحة ووضوح: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ**

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٦)، وفي الإسناد الواقدي شيخ ابن سعد.

(٢) أخرجه أبو القاسم علي بن الحسين الشافعي في «تاريخ مدينة دمشق» (٣٢/ ٢٤٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٦/ ٦٧) من طريق عبد الله بن كثير بن جعفر، عن عائشة به، وعبد الله بن كثير لم يدرك عائشة ﵂، فالإسناد مرسل.

الغَائِبَ»[1]، فهل قامت عائشة رضي الله عنها بأداء هذه الفريضة وأدت مسؤولية التعليم الملقاة على كاهلها؟

ومن هنا ندعوا أولئك الذين يزعمون أن القيام بفريضة التعليم، وتبليغه، ونشره اختص به صنف الرجال دون النساء أن يصحبونا لكي ينكشف عنهم الغبار ويتضح لديهم الواقع ويتجلى أمام أعينهم الدور البارز الملموس لهذا الصنف الرقيق الذي شبهه النبي ﷺ بالقوارير.

❁ التعليم:

من الحقائق التاريخية الثابتة أن صحابة رسول الله ﷺ قد انتشروا في مختلف أرجاء العالم وشتى البلدان بعد النبي ﷺ للقيام بواجب التعليم والدعوة والإرشاد، وكان بلد الله الحرام والطائف والبحرين واليمن والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من المدن الكبار مقرًّا لهؤلاء الطائفة المباركة من الصحابة.

وانتقلت دار الخلافة الإسلامية بعد مضي سبع وعشرين سنة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ثم إلى دمشق إلا أن هذه الحوادث وانتقال دار الخلافة من مكان إلى مكان لم يزلزل تلك الهيبة العلمية والمعنوية والروحية التي قد ترسخت في قلوب الناس تجاه المدينة المنورة، وكانت المدينة المنورة حينذاك محتضنة عدة مدارس علمية ودينية يشرف عليها كل من أبي هريرة وابن عباس وزيد بن ثابت وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٩، ١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث ابن عباس، وأبي بكرة رضي الله عنهم.

إلا أن أعظم مدرسة شهدتها المدينة المنورة في ذلك الوقت هي زاوية المسجد النبوي التي كانت قريبة من الحجرة النبوية وملاصقة لمسكن زوج النبي ﷺ، كانت هذه المدرسة مثابة للناس يقصدونها متعلمين ومستفتين حتى غدت أول مدارس الإسلام وأعظمها أثرًا في تاريخ الفكر الإسلامي، ومعلمة هذه المدرسة كانت أم المؤمنين رضي الله عنها.

فالذين كانوا من محارمها وأقربائها من الرجال والنساء ضمتهم إليها وربتهم في حجرها وعلمتهم، أما الآخرون فيدخلون وعليها الحجاب ويجلسون بين يديها من وراء حجاب في المسجد النبوي.

كان أناس يستفتونها ويسألونها عن مختلف القضايا وهي تجيبهم فينالون بركة تلقي السنة النبوية الشريفة غضة ندية من فم أم المؤمنين السيدة التي كانت ألصق الناس بحياة النبي ﷺ وأقربهم منه، وربما كانت هي التي تثير سؤالًا ثم تبدأ في الإجابة عليه، ويستمع لها بآذان صاغية وقلوب واعية.

كما أنها كانت تولى عناية فائقة واهتمامًا بالغًا بتصحيح لغة تلاميذها وتعويدهم على النطق الصحيح مع مراعاة القواعد اللغوية.

قال ابن أبي عتيق: تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثًا، وكان القاسم رجلًا لحانة وكان لأم ولد، فقالت له عائشة: مالك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أُتيت؟ هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك[1]، وكانت أم القاسم أمَة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٦٠).

كما أنها كانت تقوم بتربية وحضانة عدد من اليتامى والمساكين غير هؤلاء التلامذة، وما كانت تضن على أحد منهم بشيء من العلم، أما غير المحارم فكانت تحتجب عنهم.

والذين لم تسنح لهم فرص الدخول على أم المؤمنين لكونهم من غير المحارم كانوا يتأسفون ويحزنون على عدم تمكنهم من الاستفادة الخاصة، يقول قبيصة: كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة[١].

وقد دخل الإمام إبراهيم النخعي - إمام أهل العراق - على عائشة رضي الله عنها في صباه، فكان أقرانه يحسدونه على ذلك، عن أبي معشر عن إبراهيم النخعي: أنه كان يدخل على عائشة، قال: قلت: وكيف كان يدخل عليها؟ قال: كان يخرج مع خاله الأسود، قال: وكان بينه وبين عائشة إخاء وود[٢].

كان من عادتها رضي الله عنها أنها كانت تحج كل عام، حيث تكون نقطة تجمع للمسلمين في مكان واحد وفي يوم واحد، فتضرب لها الخيام بين جبل حراء ويثرب ويقصدها طلاب العلم وعطاش المعرفة من مشارق الأرض ومغاربها لينالوا بركة تلقي السنة النبوية غضة ندية من فم أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولم تكن رضي الله عنها تتحرج من إجابة المستفتين عن أي مسألة من مسائل

---

(١) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٢٠/ ١٧)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٢٤) من طريق الواقدي.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٧٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٧١)، بإسناد صحيح.

OBEIKAN.COM

الدين، ولو كانت تتعلق بالشؤون الخاصة، بل كانت تشجع المستفتين الذين يأخذهم الحياء أحيانًا من السؤال ﷺ: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك، فقالت: سل ولا تستحي فإنما أنا أمك[١].

والواقع أنها كانت تربي تلامذتها مثل الأم، وتتجلى لنا هذه الصفة في تعليم وتربية عروة والقاسم وأبي سلمة ومسروق وعمرة وصفية ﷺ، وكانت تتكلفهم وتنفق عليهم من مالها الخاص.

وكان بعض أقاربها يحسد بعض تلامذتها لما يرون من معاملتها الخاصة معهم، وهذا عبد الله بن الزبير الذي كان من أحب الناس إلى عائشة ﷺ وابن أختها كان يقول للأسود بن يزيد: أخبرني بما كانت تفضي إليك أم المؤمنين[٢].

وكان تلاميذها أيضًا يوقرونها ويجلونها، وهذه عمرة - تلميذتها الخاصة - كانت أنصارية لكنها تنادي أم المؤمنين بالخالة، وقد تبنت عائشة ﷺ مسروق بن الأجدع التابعي الجليل، فكان إذا حدث عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة[٣].

هذا وقد تخرج من مدرسة أم المؤمنين عائشة ﷺ عدد كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين، ومسند الإمام أحمد بن حنبل يضم في طياته أكبر عدد من مروياتها ﷺ، وحسب الإحصائية التي قمت بها أنها بلغت مائتي

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٨٧٥)، وأحمد (٦/ ١٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٤١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦٦)، بإسناد صحيح، وقد تقدم نحوه.

OBEIKAN.COM

رواية، سواء رواها عنها الصحابي أو التابعي، الحر أو العبد، القريب أو البعيد، وقد أفرد الإمام أبو داود الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٠٤هـ) مرويات تلامذتها على حدة في مسنده، ولكنه مختصر جدًّا، فلم يحتو على عدد كبير من الأحاديث، وعد الإمام ابن سعد في «الطبقات الكبرى» تلامذتها وذكر أخبارهم، كما أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قام بإحصاء الرواة عنها من أقاربها ومواليها والصحابة والتابعين في كتابه «تهذيب التهذيب»[1].

❊ الإفتاء:

قضت أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقية عمرها بعد وفاة النبي ﷺ كمرجع أساسي للسائلين والمستفتين، وقدوة يقتدي بها في سائر المجالات والشؤون، لكن من حسن حظنا أن خزانة تراثنا الإسلامي غنية بتلك الشهادات المسجلة القاطعة والحاسمة التي تؤكد لنا وتجعلنا نقطع بالقول: إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت مرجع الصحابة في كل شيء، وما أشكل عليهم شيء من الحديث أو الفقه إلا وجدوا عندها منه علمًا، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ومشيختهم يسألونها ويستفتونها.

وقد عدها ابن القيم في المكثرين من الفتيا من أصحاب النبي ﷺ، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وكانوا بين مكثر منها ومقل متوسط»، والذين حفظت عنهم الفتوى من

---

(١) «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٣٣).

أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفسًا ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[١].

❁ أم المؤمنين عائشة تفتي في عهد الخلفاء الراشدين:

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد استقلت بالفتوى وحازت على هذا المنصب الجليل المبارك منذ وفاة النبي ﷺ، وأصبحت مرجع السائلين ومأوى المسترشدين، وبقيت على هذا المنصب في زمن الخلفاء كلهم إلى أن وافاها الأجل.

❁ يقول القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة في المدينة:

كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرًّا إلى أن ماتت يرحمها الله[٢].

وحتى عمر الفاروق رضي الله عنه الذي كان مجتهد الإسلام والدين لم يستغن عن هذه المشكاة النبوية.

---

(١) ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ١١).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٧٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٤٣١) من طريق الواقدي.

OBEIKAN.COM

وكما هو معروف أن كل صحابي لم يكن مسموحًا له بالإفتاء في عهد عمر ﷺ، بل كان ذلك الأمر إلى البعض من خاصة أصحاب الرسول ﷺ، وهم الذين كانوا يفتون، وهذا يدلنا على مدى اعتماد عمر ﷺ على عائشة أم المؤمنين والاعتراف بفضلها ومكانتها العلمية وسعة اطلاعها ومعرفتها.

❁ بعض الأحاديث التي نقلتها عن المصطفى ﷺ:

فقد روت ﷺ عن عشرة من صحابته ﷺ، وهم:

والدها الصديق أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأسيد بن حضير، وجدامة بنت وهب، والحارث بن هشام بن المغيرة، وحمزة بن عمرو بن عويمر، وحمنة بنت جحش، ورملة بنت أبي سفيان، وسعد بن مالك بن سنان.

❁ وهذه بعض الأحاديث التي روتها:

أخرج البخاري في «صحيحه» عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ ﷺ، أَنَّ الحَارِثَ ابْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[1].

---

(١) البخاري (٢).

وأخرج أيضًا عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**»(١).

❊ بعض كلماتها:

أخرج ابن سعد عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي(٢).

❊ موقف الوفاة:

ذكر السيد سليمان الندوي في ذلك فقال: إن نهاية معاوية رضي الله عنه كانت آخر أيام عائشة رضي الله عنها، وكانت قد بلغت من العمر سبعًا وستين سنة، ومرضت في شهر رمضان المبارك سنة ثمان وخمسين من الهجرة، فإذا سئلت كيف أصبحت قالت: صالحة الحمد لله، كل من يعودها يبشرها فترد عليه قائلة: يا ليتني كنت حجرًا، يا ليتني كنت مدرة.

وأخرج ابن سعد في «طبقاته» عن عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان حاجب عائشة أَنَّهُ جَاءَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ فَجِئْتُ وَعِنْدَ رَأْسِهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ، فَأَكَبَّ عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا فَقَالَ: هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ، وَهِيَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠).

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (١/ ٨٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٤)، وابن أبي شيبة (٣٥٨٨٢) من طرق عن عائشة رضي الله عنها، بإسناد يصحح بمجموع طرقه.

تَمُوتُ، فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَإِنَّهُ لا حَاجَةَ لِي بِهِ وَلا بِتَزْكِيَتِهِ، فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِي بَنِيكِ يُسَلِّمُ عَلَيْكِ وَيُوَدِّعُكِ، قَالَتْ: فَأْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ، فَأَدْخَلْتُهُ.

فَلَمَّا أَنْ سَلَّمَ وَجَلَسَ قَالَ: أَبْشِرِي، قَالَتْ: بما؟ قَالَ: مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقَيْ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، وَالأَحِبَّةَ؛ إِلا أَنْ تَخْرُجَ الرُّوحُ مِنَ الْجَسَدِ. كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يُحِبُّ إِلا طَيِّبًا، وَسَقَطَتْ قِلادَتُكِ لَيْلَةَ الأَبْوَاءِ فَأَصْبَحَ رسول الله ليطلبها حِينَ يُصْبِحُ فِي الْمَنْزِلِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ تَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَبَبِكِ، وَمَا أَذِنَ اللَّهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ براءتك من فوق سبع سموات جَاءَ بِهَا الرُّوحُ الأَمِينُ، فَأَصْبَحَ لَيْسَ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ يُذْكَرُ فِيهِ إِلا هِيَ تُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَقَالَتْ: دَعْنِي منك يابن عبّاس فوالذّي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا[1].

وجاء في رواية الطيالسي: سمعت أم سلمة الصرخة على عائشة فأرسلت جاريتها: انظري ماذا صنعت؟ فجاءت، فقالت: قد قضت، فقالت: يرحمها الله، والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس كلهم إلى رسول الله ﷺ؛ إلا أباها[2].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٦، ٣٤٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٧٥)، وأبو يعلى (٢٦٤٨)، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه الطيالسي (١٦١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥)، بإسناد ضعيف، ولبعض فقراته شواهد تصح بها.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه والي المدينة بالنيابة فصلى على عائشة رضي الله عنها.

يقول مسروق (التابعي الجليل): لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين[١].

سئل رجل من أهل المدينة: كيف كان وجد الناس على عائشة؟ فقال: كان فيهم وكان، قال: أما إنه لا يحزن عليها؛ إلا من كانت أمه[٢].

❊ متى توفيت؟

أخرج ابن عبد البر: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها توفيت سنة سبع وخمسين، وقال خليفة بن خياط: وقد قيل: إنها توفيت سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، أمرت أن تدفن ليلًا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر[٣].

❊ أين دفنت؟

دفنت رضي الله عنها بالبقيع.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٨)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٣)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٨)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٥) عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه به، بإسناد صحيح.

(٣) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٣٥).

OBEIKAN.COM

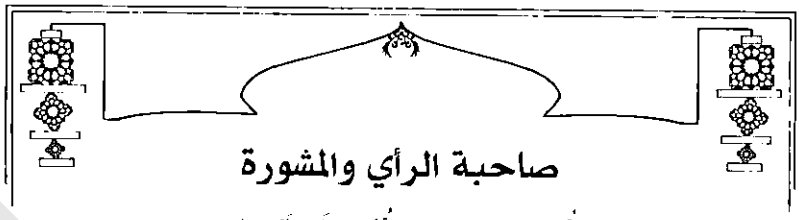

صاحبة الرأي والمشورة

أم المؤمنين أم سلمة ﵂

هي هند بنت أبي أمية: واسمه حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين أم سلمة[١].

❁ بعض المواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

تقول أم المؤمنين أم سلمة: لما توفي أبو سلمة أتيت النبي ﷺ، فقلت: كيف أقول؟ قال: «**قولي: اللهم اغفر لنا وله، وأعقبني منه عُقبى صالحة**» فقلته، فأعقبني الله محمدًا ﷺ[٢].

فلما خطبني النبي ﷺ قلت له: فيَّ خلال ثلاث: أما أنا فكبيرة السن، وأنا امرأة معيل، وأنا امرأة شديدة الغيرة، فقال: «**أنا أكبر منك، وأما العيال فإلى الله، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها عنك**» فتزوجها، فلما دخل عليها قال: «**إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي**»، فرضيت بالثلاث[٣].

وعن أم كلثوم، قالت: لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة، قال لها: «**إني قد**

---

(١) ذكره المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٤٦٠).

OBEIKAN.COM

أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلة، وإني أراه قد مات، ولا أرى الهدية إلا سترد، فإن ردت، فهي لك»، قالت: فكان كما قال، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية، وأعطى سائره أم سلمة والحلة[١].

وكان لها يوم الحديبية رأي صائب يدل على وفور عقلها فعندما عقد الصلح مع مشركي مكة كان كثير من المسمين غير راضين عن بعض شروطه، فما أمرهم رسول الله ﷺ بالتحلل تأخروا في الاستجابة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ودخل على أم سلمة وذكر لها الأمر، فقالت: يا نبي الله اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام ﷺ ونحر، فقام أصحابه ينحرون ويحلقون[٢].

وفي بيتها نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: **«هؤلاء أهل بيتي»**، فقالت: يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ قال: **«بلى إن شاء الله»**[٣].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «السنن» (٤٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٥٢)، (٢٥/ ٨١)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٨/ ٢٠٥) من طرق، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن موسى بن عقبة، عن أمه، عن أم كلثوم بنت أم سلمة الحديث، وفي بعض الطرق عن موسى بن عقبة، عن أم كلثوم، وهذا إسناد ضعيف، فمسلم بن خالد مختلف فيه، والراجح ضعفه، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٦، ٣٠٤)، وابن أبي شيبة (٣٢٧٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٣٠، ٣٩٣) عن أم سلمة به، وفي الإسناد عطية أبي المعذل الطفاوي، =

بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

عن زياد بن أبي مريم قال: قالت أم سلمة لأبي سلمة:

بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذا إذا ماتت امرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك أن لا أتزوج بعدك، ولا تتزوج بعدي.

قال: أتطيعيني؟ قالت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال: فإذا مت فتزوجي، ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلًا خيرًا مني لا يخزيها ولا يؤذيها.

قالت: فلما مات، قلت: من هذا الذي هو خير لي من سلمة؟! فلبثت ما لثت، ثم تزوجني رسول الله ﷺ[(١)].

وفي الصحيح، عن أم سلمة أن أبا سلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عند أحتسب مصيبتي وآجرني فيها**»، وأردت أن أقول: «وأبدلني بها خيرًا منها»، قلت: من هو خير من أبي سلمة؟ فما زلت حتى قلتها... فذكرت القصة[(٢)].

تروي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قصة هجرتها إلى المدينة فتقول: لما

= ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل، وسكت عنه، فهو في حيز الجهالة، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٨٨)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٥١) من طريق زياد بن أبي مريم، وقد ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» وسكت عنه، ولبعض فقراته شواهد.

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨) بنحوه، وأبو داود (٣١٢١)، والترمذي (١٥٢٩).

أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل بعيرًا له، وحملني وجمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآني رجال بني المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليه، أرأيت صاحبتنا هذه، علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟... ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عنده، إذا نزعتموها من صاحبنا... فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، ورهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وابني...

فكنت أخرج كلّ غداة، وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سبعًا أو قريبه، حتى مرّ بي رجل من بني عمي فرأى وجهي، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ابنه؟... فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت... وردّ علي بنو عبد الأسد ذلك ابني...

فرحلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي من أحد من خلق الله، فكنت أبلغ من لقيت، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: أين يا بنت أبي أمية؟... قلت: أريد زوجي بالمدينة... فقال: هل معك أحد؟... فقلت: لا والله إلا الله، وابني هذا... فقال: والله ما لك من منزل... فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلًا من العرب أراه أكرم منه، وإذا نزل المنزل أناخ بي ثم استأخر عني وقال: اركبي... فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ قرية بني عمرو بن

عوف بقباء، قال: إن زوجك في هذه القرية[١].

وكان أبو سلمة نازلًا به، فيستقبل أبو سلمة أم سلمة وابنه معه، بكل بهجة وسرور، وتلتقي الأسرة المهاجرة بعد تفرّق وتشتّت وأهوال.

أرسلت إلى أم المؤمنين السيدة عائشة ناصحة لها لما عزمت على الخروج إلى وقعة الجمل تطلب منها لزوم بيتها، ومما قالته لها: لو قيل لي يا أم سلمة ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكة حجابًا ضربه علي، فاجعليه سترك وقاعة بيتك حصنك.

لما أنزل توبة أبو لبابة على رسوله ﷺ من آخر الليل وهو في بيت أم سلمة فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة فاستأذنته أن تبشره، فأذن لها، فخرجت فبشرته، فثار الناس إليه يبشرونه وأرادوا أن يحلوه من رباطه، فقال: والله لا يحلني إلى رسول الله ﷺ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه ﷺ وأرضاه[٢]، ويروي سعيد بن جهمان، أن سفينة قال: اشترتني أم سلمة وأعتقتني واشترطت علي أن أخدم النبي ﷺ ما عشت، فقلت: أنا ما أحب أن أفارق النبي ﷺ ما عشت[٣].

---

(١) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٣٧١)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٢٢٢) من طريق سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة نحوه، وسلمة ابن عبد الله مقبول، ولم أقف له على متابع.

(٢) ابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٢٣٢)، و«البداية والنهاية (٤/ ١٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٤٩٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٨٥)، بإسناد حسن.

وروى البخاري في «صحيحه» أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فاجتمع أزواجه إلى أم سلمة، وقلن لها: قولي له يأمر الناس أن يهدوا له حيث كان، فقالت أم سلمة: فلما دخل علي قلت له ذلك، فأعرض عني، ثم قلن لها ذلك، فقالت له، فأعرض عنها، ثم لما دار إليها قالت له، فقال: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا**»[١].

❊ مواقف من حياتها مع التابعين:

ويروي عوف بن أبي جميلة الأعرابي، قال: كان الحسن وهو الحسن البصري ابنًا لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها، فبكى الحسن بكاءً شديدًا، فرقت عليه أم سلمة ﵂، فأخذته فوضعته في حجرها، فألقمته ثديها، فدر عليه فشرب منه، فكان يقال: إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي ﷺ[٢].

❊ بعض الأحاديث التي نقلتها عن الرسول ﷺ:

عن زينب ابنة أم سلمة، عن أم سلمة قالت: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا رَأَتِ المَاءَ**» فَغَطَّتْ أُمُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٧٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٤٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٦/ ١١٨) من طريق عبد الله بن محمد بن أبي كامل، ولم **أقف على أحد وثقه**.

سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**»(١).

وعن هند بنت الحارث أم المؤمنين أم سلمة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمة ومكث يسيرًا قبل أن يقوم.

قال ابن شهاب: فأرى والله أعلم أن مكثه لي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم(٢).

وأخبر عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**»(٣).

قالت زينب سمعت أمي أم سلمة تقول:

جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا، أَفَتَكْحُلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ»

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٧، ٨٧٠).

(٣) أخرجه مسلم (٩١٨) وقد تقدم.

مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لاَ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ**»[١].

قال حميد قلت لزينب:

وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ: كَانَتِ المَرْأَةُ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، دَخَلَتْ حِفْشًا، وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، وَلَمْ تَمَسَّ طِيبًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ، حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ، فَتَفْتَضُّ بِهِ، فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعَرَةً، فَتَرْمِي، ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدُ مَا شَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ[٢].

وفاتها رضي الله عنها:

هي آخر أمهات المؤمنين موتًا، فقد ثبت في «صحيح مسلم» أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية، فسألا عن الجيش الذي يخسف به[٣]، وكان ذلك حين جهز يزثد بن معاوية مسلم بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة، فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين، وهذا كله يدفع قول الواقدي.

وكذلك ما حكى ابن عبد البر أن أم سلمة أوصت أن يصلي عليها سعيد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٦)، ومسلم (١٤٨٨) معلقًا.
(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣٧)، ومسلم (١٤٨٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٢).

OBEIKAN.COM

ابن زيد، فإن سعيدًا مات سنة خمسين، أو سنة إحدى أو اثنتين، فيلزم منه أن تكون ماتت قبل ذلك، وليس كذلك اتفاقًا، ويمكن تأويله بأنها مرضت فأوصت بذلك، ثم عوفيت، فمات سعيد قبلها، والله أعلم.

ودفنت بالبقيع[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) ذكره ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٢٢٤).

OBEIKAN.COM

عاتقة المائة

أُمُ المُؤْمِنين جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ رضي الله عنها

مقدمة:

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك ابن جذيمة، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة، زوج النبي ﷺ، سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ، وقيل: سنة ست، ولم يختلفوا أنه أصابها في تلك الغزوة، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي[١].

وعن ابن إسحاق قال: وجويرية بنت الحارث كان اسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، من خزاعة، كانت عند بن عم لها يقال له: مسافع بن صفوان بن ذي الشفر[٢].

وعن زينب بنت أبي سلمة عن جويرية بنت الحارث أن اسمها كان برة وعيّره ﷺ فسماها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة[٣].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٥٨٣).
(٢) ابن إسحاق في «السيرة» (٥/ ٢٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

OBEIKAN.COM

❁ حالها في الجاهلية:

كانت سيدة نساء قومها، وكان أبوها قائد بني المصطلق الذين كانوا يجمعون للنبي ﷺ:

عن ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حيان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق قال: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له الريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحم الناس، واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية، وقتل من قتل منهم، ونفل الله رسوله أبناءهم ونساءهم، وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبيًا كثيرًا قسمه في المسلمين، وكان فيما أصاب يومئذ من النساء جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيدة نساء قومها[1].

❁ عمرها عند الإسلام:

قال ابن عمر: وأخبرني محمد بن يزيد عن جدته - وكانت مولاة جويرية بنت الحارث - عن جويرية ﵂ قالت: تزوجني رسول الله ﷺ

---

(١) ولبعض فقراته شواهد تصح بها، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٦٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٧)، وابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٢٩٧) من طريق عاصم بن عمر، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حيان به، وهذا إسناد مرسل؛ لأن هؤلاء الثلاثة لم يسمعوا من النبي ﷺ، ولبعض فقراته شواهد، منها: ما أخرجه البخاري (٢٥٤١).

وأنا ابنة عشرين سنة، قالت: توفيت جويرية سنة خمسين وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم[١].

❁ قصة إسلامها:

كانت أم المؤمنين جويرية ﵂ ضمن سبي بني المصطلق الذين غزاهم الرسول ﷺ، وكان قد قتل زوجها في هذه الغزوة، ووقعت في سهم ثابت ابن قيس بن الشماس أو لابن عمه، فكاتبت على نفسها لكونها أبية وسيدة نساء قومها، ولم يكن معها ما كاتبت عليه فذهبت إلى رسول الله ﷺ ليعينها على ذلك، فرد عليها فرد عليها بما هو أفضل؛ إذ عرض عليها الزواج منها وقضاء مكاتبتها، فأجابت بالقبول، وأسلمت وحسن إسلامها[٢].

❁ أثر الرسول ﷺ في تربيتها:

كان لا بد أن يكون للرسول ﷺ أثر كبير في تربيتها، حتى أعدها لتكون أمًّا للمؤمنين، فتأثرت به ﵂ في عبادتها، فكانت تصوم من النوافل الكثير، حتى صامت يوم جمعة منفردًا فأمرها الرسول ﷺ بأن تفطر[٣]، وكانت تظل تذكر الله بعد الفجر حتى الشروق كما كان الرسول ﷺ يفعل ذلك.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٨) من طريق محمد بن عمر الواقدي.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٣٣)، وابن الجارود في «المنتقى» (٧٠٥)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢١) بإسناد حسن.

(٣) الحديث أخرجه البخاري (١٩٨٦)، وسيأتي بنصه.

OBEIKAN.COM

❁ أهم ملامح شخصيتها ﵂:

أعظم امرأة بركة على قومها:

عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: لما سبى رسول الله ص سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نَفْسِهَا - وَكَانَتِ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلاحَةً، لا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ - فَأَتَتْ رَسُول اللَّهِ ص تستعينه على كتابتها، قالت: فو الله مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشِّمَاسِ- أَوْ لابْنِ عَمٍّ لَهُ- فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي، فَقَالَ لَهَا: «**فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟**» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**»، قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**».

قالت أم المؤمنين عائشة: فبلغ المسلمين ذلك قالوا: أصهار رسول الله ﷺ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من سبايا بني المصطلق، قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، قالت: فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا[1].

حرة أبيه تكره الرق والعبودية:

ويظهر هذا واضحًا جليًّا حينما حاولت افتداء نفسها من الرق بالاكتتاب،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وابن حبان (٤٠٥٣، ٤٠٥٤)، وابن إسحاق في «السيرة» (٥/ ٢٤٥)، والحديث حسن.

فكاتبت على نفسها واتفقت مع ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ﷺ على مبلغ من المال تدفعه له مقابل عتقها، رغم أنها لم تكن تملك ما تفك به نفسها؛ إذ أنها أتت رسول الله ﷺ وطلبت منه أن يعينها على المكاتبة.

حليمة... تعتق من حر مالها:

عن مجاهد عن أم المؤمنين جويرية زوج النبي ﷺ أنها قالت: يا نبي الله، أردت أن أعتق هذا الغلام، فقال رسول الله ﷺ: «**بل أعطيه أخاك الذي في الأعراب يرعى عليه؛ فإنه أعظم لأجرك**»(١).

ومن الذاكرات:

فقد ورد أنها كانت تذكر الله من بعد الفجر وحتى شروق الشمس، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ خرج من عندها وهي في مصلاها، ثم رجع حين تعالى النهار وهي ما زالت في مكانها تذكر الله، فقال لها: لم تزالي في مصلاك منذ خرجت؟ فأجابته نعم، فقال لها ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**»، وذكر باقي الحديث وهو سيرد قريبًا(٢).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤٩١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٩٤) من طريق مجاهد عن جويرية، ومجاهد، لم يسمع من جويرية، انظر كتب المراسيل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

OBEIKAN.COM

❁ بعض المواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «**أَصُمْتِ أَمْسِ؟**»، قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «**تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟**»، قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «**فَأَفْطِرِي**»(١).

عن ابن عباس قال: قالت جويرية بنت الحارث - وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةُ فحول النبي ﷺ اسمها وسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ، وكَرِهَ أَنْ يُقَالَ: خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ - قالت: خرج النبي ﷺ وأنا في مصلاي، فرجع حين تعالى النهار وأنا فيه فقال: «**لم تزالي في مصلاك منذ خرجت؟ قلت: نعم، قال: «قَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَّ بِمَا قُلْتِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(٢).

عن مجاهد قال: قالت جويرية بنت الحارث لرسول الله ﷺ: إن أزواجك يفخرن عليّ، يقلن: لم يتزوجك رسول الله ﷺ إنما أنت ملك يمين، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين رقبة من قومك؟**»(٣).

عن ابن شهاب أن عبيد بن السباق قال: إن جويرية زوج النبي ﷺ أخبرته

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٦).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٣١١٩)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١١٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٥٩) من طريق مجاهد، عن جويرية به، ومجاهد لم يسمع من جويرية، انظر كتب المراسيل.

OBEIKAN.COM

أن رسول الله ﷺ دخل عليها فقال: «**هل من طعام؟**» قالت: لا والله يا رسول الله، ما عندنا طعام إلا عضم من شاة أعطيته مولاتي من الصدقة، فقال: «**قربيه فقد بلغت محلها**»[١].

❁ بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

مع عمر وفرضه لها سنة آلاف:

عن مصعب بن سعد أن عمر بن الخطاب فرض في ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لأمهات المؤمنين في عشرة آلاف عشرة آلاف، ففضل أم المؤمنين عائشة بألفين لحب النبي ﷺ إياها إلا السبيتين أم المؤمنين صفية بنت حيي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث فرض لهما ستة آلاف، وفرض لنساء من نساء المؤمنين في ألف ألف منهن أم عبد[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٦) من حديث عائشة ﵂، ومسلم (١٠٧٣) من حديث جويرية ﵂.

(٢) والحديث يرويه أبو إسحاق السبيعي واختلف عليه، فرواه جماعة منهم: سفيان، وزهير، وإسرائيل، ومطرف وغيرهم عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد، عن عمر به، كما عند أبي عبيد في «الأموال» (٥٤)، وابن أبي شيبة (٣٣٥٣٧، ٣٣٥٤٧)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٠٤١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٩) وغيرهم، وهذا إسناد رجاله ثقات، غير أن مصعب بن سعد لم يسمع من عمر ﵁، فيكون الحديث ضعيف من هذا الوجه، وخالف الجماعة: الأعمش، فرواه عن أبي إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عمر، كما عند الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٠٩)، ولا شك أن رواية الجماعة تقدم على رواية الأعمش، خاصة أن سفيان، وإسرائيل من أثبت الناس في أبي إسحاق، فالصواب في الحديث أنه لا يصح.

OBEIKAN.COM

❁ بعض الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ:

عن الطفيل بن أخي جويرية عن جويرية أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لَبَّسَهُ اللَّهُ ثَوبًا مِنْ نَارٍ**»(١).

عن مولى لجويرية عن جويرية أن النبي ﷺ كان يكره أن يأكل الطعام حتى يذهب فورة دخانه(٢).

❁ أثرها في الآخرين:

عن المهاجر أبي الحسن عن كلثوم بن عامر أن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث توضأت فأردت أن أتوضأ بفضل وضوئها فنهتني، ففي هذا النهي تعليم لكلثوم رضي الله عنها(٣).

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (١٥٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٦٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٣١)، وابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٥٤) من طريق شريك والحسن بن موسى كلاهما عن جابر، عن خاله أبي عثمان، وفي بعضها عن خالته أم عثمان، عن الطفيل ابن أبي جويرية، عن جويرية به، وجابر هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف، ولكن يشهد للفقرة الأولى ما أخرجه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣) بلفظ: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**».

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٦٦) فيه ابن لهيعة: ضعيف، وفيه رجل آخر لم يسمى، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٣) رواه الطبراني، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية إسناده حسن، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «الجامع الصغير» (١٠٠٧٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٣٧٧) من طريق جابر الجعفي وهو ضعيف، وأبو عبيد في «الطهور» (٢٠٠)، وابن أبي شيبة (٣٨٥) من طريق كلثوم بن عامر، وكلثوم لم يوثقه معتبر، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» وسكت عنه، وذكره ابن حبان في «الثقات»، فالحديث بمجموع الطريقين لا يصح.

OBEIKAN.COM

❁ بعض كلماتها:

قال ابن عمر وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال: قالت جويرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليل كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحدًا من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله ﷻ[١].

❁ الوفاة:

قال ابن عمر وحدثني عبد الله بن أبي الأبيض عن أبيه قال: توفيت جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في إمارة معاوية، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة.

قال ابن عمر: وأخبرني محمد بن يزيد عن جدته - وكانت مولاة جويرية بنت الحارث - عن جويرية رضي الله عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة عشرين سنة، قالت: توفيت جويرية سنة خمسين وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم[٢].

توفيت في ربيع الأول سنة ست وخمسين[٣].

---

(١) أخرجه الواقدي في «المغازي» (١/ ٤٠٩)، وابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٣٠٣) من طريق الواقدي وهو متروك.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٠)، وابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٤١).

OBEIKAN.COM

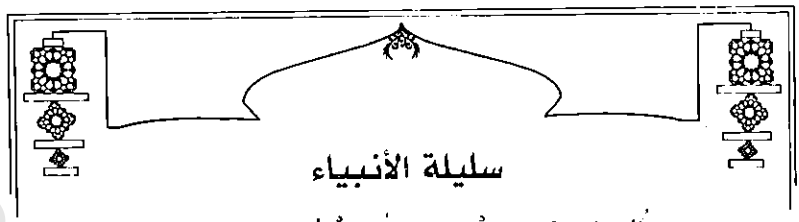

سليلة الأنبياء

أم المؤمنين صفية بنت حيي ﵂

هي صفية بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وأمها برة بنت سموأل.

وقال أبو عمر كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة[١].

❁ حالها في الجاهلية:

تزوجها قبل إسلامها: سلام بن أبي الحقيق ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق وكانا من شعراء اليهود فقتل كنانة يوم خيبر عنها وسبيت وصارت في سهم دحية الكلبي فقيل للنبي ﷺ عندها وأنها لا ينبغي أن تكون إلا لك فأخذها من دحية وعوضه عنها سبعة أرؤس[٢].

ثم أن النبي ﷺ لما طهرت تزوجها وجعل عتقها صداقها[٣]، روى أن

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٠)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٥).

(٢) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٥)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣١)، وابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٢٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «الصغرى» (٢٤٠٣)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ، بإسناد صحيح، دون قوله: «**لما طهرت**» فلم أقف لها على إسناد.

OBEIKAN.COM

النبي ﷺ لما تزوج أم المؤمنين صفية بنت حيي أمهرها خادمه وهي رزينة[١].

❁ من ملامح شخصيتها ﵂:

حبها للرسول ﷺ:

عن أم المؤمنين عائشة قالت: وجد رسول الله ﷺ على صفية بنت حيي فقالت لي: هل لك أن ترضي رسول الله ﷺ عني وأجعل لك يومي قلت: نعم فأخذت خمارًا لها مصبوغًا فرشته بالماء ثم اختمرت به، قال عفان: لتفوح ريحه، ثم دخلت عليه في يومها فجلست إلى جنبه فقال: «**إليك يا عائشة فليس هذا يومك**» فقالت: فضل الله يؤتيه من يشاء ثم أخبرته خبري قال عفان: فرضي[٢].

❁ من مواقفها مع الرسول ﷺ:

كَانَتْ صَفِيَّةُ مِمَّا اصْطَفَى يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعْتِقَهَا إِنِ اخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَتْ: أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَسْلَمَتْ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا مَهْرَهَا، وَرَأَى بِوَجْهِهَا أَثَرَ خُضْرَةٍ قَرِيبًا مِنْ عَيْنِهَا

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٧١٦١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٤٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٧٧) وغيرهم من طريق عليلة بنت الكميت عن أمها، ولم أقف لها على ترجمة، وقد ضعف الإسناد ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٢٩)، ولبعض فقراته شواهد، منها الحديث السابق عن أنس ﵁.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٤٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٨٤) من طريق ثابت البناني، عن سمية، عن عائشة ﵂، وسمية البصرية مقبولة، ولم أقف له على متابع.

فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِيَ الْمَنَامِ قَمَرًا أَقْبَلَ مِنْ يَثْرِبَ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِي فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِزَوْجِي كِنَانَةَ فَقَالَ: تُحِبِّينَ أَنْ تَكُونِيَ تَحْتَ هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْمَدِينَةِ؟ فَضَرَبَ وَجْهِي وَاعْتَدَتْ حَيْضَةً، وَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ خَيْبَرَ حَتَّى طَهُرَتْ مِنْ حَيْضَتِهَا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ خَيْبَرَ وَلَمْ يُعَرِّسْ بِهَا، فَلَمَّا قُرِّبَ الْبَعِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ لِيَخْرُجَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ رِجْلَهُ لِصَفِيَّةَ لِتَضَعَ قَدَمَهَا عَلَى فَخِذِهِ فَأَبَتْ وَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخِذِهِ وَسَتَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَحَمَلَهَا وَرَاءَهُ. وَجَعَلَ رِدَاءَهُ عَلَى ظَهْرِهَا وَوَجْهِهَا ثُمَّ شَدَّهُ مِنْ تَحْتِ رِجْلِهَا وَتَحَمَّلَ بِهَا وَجَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ نِسَائِهِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلٍ يُقَالُ لَهُ تَبَارُ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ مَالَ يُرِيدُ أَنْ يُعَرِّسَ بِهَا فَأَبَتْ عَلَيْهِ فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا كَانَ بِالصَّهْبَاءِ وَهِيَ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ خَيْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمِّ سُلَيْمٍ: «**عَلَيْكُنَّ صَاحِبَتَكُنَّ فَامْشِطْنَهَا**»، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُعَرِّسَ بِهَا هُنَاكَ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: وَلَيْسَ مَعَنَا فُسْطَاطٌ وَلا سُرَادِقَاتٌ فَأَخَذَتْ كِسَائَيْنِ أَوْ عَبَاءَتَيْنِ فَسَتَرَتْ بَيْنَهُمَا إِلَى شَجَرَةٍ فَمَشَّطَتْهَا وَعَطَّرَتْهَا، قَالَتْ أُمُّ سِنَانٍ الأَسْلَمِيَّةُ: وَكُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ عُرْسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِصَفِيَّةَ مَشَّطْنَاهَا وَعَطَّرْنَاهَا، وَكَانَتْ جَارِيَةً تَأْخُذُ الزِّينَةَ مِنْ أَوْضَأِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ وَمَا وَجَدْتُ رَائِحَةَ طِيبٍ كَانَ أَطْيَبَ مِنْ لَيْلَتِئِذٍ، وَمَا شَعُرْنَا حَتَّى قِيلَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِهِ وَقَدْ نَمَّصْنَاهَا وَنَحْنُ تَحْتَ دُومَةٍ، وَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي إِلَيْهَا فَقَامَتْ إليه، وبذلك أمرناها، فخرجنا من عندهما وَأَعْرَسَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ هُنَاكَ وَبَاتَ عِنْدَهَا، وَغَدَوْنَا عَلَيْهَا وَهِيَ تُرِيدُ أَنْ تَغْتَسِلَ، فَذَهَبْنَا بِهَا حَتَّى تَوَارَيْنَا مِنَ الْعَسْكَرِ فَقَضَتْ حَاجَتَهَا وَاغْتَسَلَتْ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا رَأَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرَّ بِهَا وَلَمْ يَنَمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَمْ يَزَلْ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا، وَقَالَ لَهَا: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ حِينَ أَرَدْتُ**

أَنْ أَنْزِلَ الْمَنْزِلَ الأَوَّلَ فَأَدْخُلَ بِكِ؟» فَقَالَتْ: خَشِيتُ عَلَيْكَ قُرْبَ يَهُودَ، فَزَادَهَا ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ.

ولَمَّا دَخَلَتْ صَفِيَّةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهَا: **«لَمْ يَزَلْ أَبُوكِ مِنْ أَشَدِّ يَهُودَ لِي عَدَاوَةً حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ»**.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: **«اخْتَارِي، فَإِنِ اخْتَرْتِ الإِسْلامَ أَمْسَكْتُكِ لِنَفْسِي وَإِنِ اخْتَرْتِ الْيَهُودِيَّةَ فَعَسَى أَنْ أُعْتِقَكِ فَتَلْحَقِي بِقَوْمِكِ»**، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ هَوَيْتُ الإِسْلامَ وَصَدَّقْتُ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَنِي حَيْثُ صِرْتُ إِلَى رَحْلِكَ وَمَا لِي فِي الْيَهُودِيَّةِ أَرَبٌ وَمَا لِي فِيهَا وَالِدٌ وَلا أَخٌ. وَخَيَّرْتَنِي الْكُفْرَ وَالإِسْلامَ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعِتْقِ وَأَنْ أَرْجِعَ إِلَى قَوْمِي، قَالَ: فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ[١].

وعن علي بن الحسين قال:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ فَرُحْنَ، فَقَالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ: **«لاَ تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ»**، وَكَانَ بَيْتُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَجَازَا، وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: **«تَعَالَيَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»**، قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا»**[٢].

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٨، ٢٠٣٩) من طريق علي بن الحسين، عن صفية به.

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ حج بنسائه، فلما كان ببعض الطريق برك بصفية جملها، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح، قال لزينب بنت جحش: «**يا زينب، أفقري أختك جملا؟**»، وكانت من أكثرهن ظهرا، قالت، أنا أفقر يهوديتك؟!

فغضب النبي ﷺ حين سمع ذلك منها، فلم يكلمها حتى قدم مكة، وأيام منى في سفره حتى رجع إلى المدينة، ومحرم وصفر، فلم يأتها ولم يقسم لها، ويئست منه، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها، فلما رأت ظله، قالت: هذا ظل رجل، وما يدخل علي رسول الله ﷺ!

فدخل النبي ﷺ فلما رأته، قالت: يا رسول الله، ما أصنع؟ قالت: وكانت لها جارية تخبؤها من النبي ﷺ فقالت: فلانة لك.

قال: فمشى النبي ﷺ إلى سرير صفية، وكان قد رفع فوضعه بيده، ورضي عن أهله[1].

وعن زيد بن أسلم قال: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النبي ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَتْ أم المؤمنين صَفِيَّةُ بنت حيي: أَمَا وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِيَ بِكَ بِي! فَغَمَزنَ أَزْوَاجُه ببصرهن، فَقَالَ: «**مَضْمِضْنَ!**»، فَقُلْنَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مِنْ تَغَامُزِكُنَّ بِصَاحِبَتِكُنَّ! وَاللَّهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ!**»[2].

---

(١) ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٣٤)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٦٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٢٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٨)، =

عن أنس ﷺ قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودية فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «**ما يبكيكي**» فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودية. فقال ﷺ: «**وإنك لبنت نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيما تفخر عليك**» ثم قال: «**إتق الله يا حفصة**»(١).

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي قالت: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وبين يديها كوم من نوى فسألها: «**ما هذا؟**» فقالت: أسبح به يا رسول الله، فقال لها رسول الله ﷺ: «**لقد سبحت منذ قمت عنك أكثر من كل شيء سبحت**»، فقالت: كيف قلت؟، قال: «**قلت: سبحان الله عدد ما خلق**»(٢).

❁ مواقفها مع الصحابة ﷺ:

من مواقفها مع أمهات المؤمنين ﷺ:

تقول أم سنان الأسلمية: لَمَّا نَزَلْنَا الْمَدِينَةَ لَمْ نَدْخُلْ مَنَازِلَنَا حَتَّى دَخَلْنَا مَعَ صَفِيَّةَ مَنْزِلَهَا، وَسَمِعَ بِهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فَدَخَلْنَ عَلَيْهَا مُتَنَكِّرَاتٍ فَرَأَيْتُ أَرْبَعًا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَنَقِّبَاتٍ: زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ

= وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٤١) عن زيد بن أسلم به، وزيد لم يدرك النبي ﷺ، فالإسناد مرسل.

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٤)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، وعبد بن حميد (١٢٤٨)، وأبو يعلى (٣٤٣٧) عن معمر، عن ثابت، عن أنس به، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٣٣)، وفي «الدعاء» (١/ ٤٩٤) من طريق يزيد ابن معتب، عن صفية به، ويزيد بن معتب لم أقف له على ترجمة، وأما قوله: «**سبحان الله عدد ما خلق**» فلها شاهد عن مسلم (٢٧٢٦).

وَحَفْصَةَ وَعَائِشَةَ وَجُوَيْرِيَةَ، فَأَسْمَعُ زَيْنَبَ تَقُولُ لِجُوَيْرِيَةَ: يَا بِنْتَ الْحَارِثِ مَا أَرَى هَذِهِ الْجَارِيَةَ إِلا سَتَغْلِبُنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ جُوَيْرِيَةُ: كَلا، إِنَّهَا مِنْ نِسَاءٍ قَلَّ مَا يُحْظَيْنَ عِنْدَ الأَزْوَاجِ[١].

موقفها مع أم المؤمنين السيدة عائشة:

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من خَيْبَرَ وَمَعَهُ صَفِيَّةُ أَنْزَلَهَا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ فَسَمِعَ بِهَا نِسَاءُ الأَنْصَارِ وَبِجَمَالِهَا فَجِئْنَ يَنْظُرْنَ إِلَيْهَا وَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَنَقِّبَةً حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَعَرَفَهَا، فَلَمَّا خَرَجَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَثَرِهَا فَقَالَ: «**كَيْفَ رَأَيْتِهَا يَا عَائِشَةُ؟**» قَالَتْ: وَأَيْتُ يَهُودِيَّةً. قَالَ: «**لا تَقُولِي هَذَا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهَا قَدْ أَسْلَمَتْ فَحَسُنَ إِسْلامُهَا**»[٢].

موقفها مع سيدنا عمر:

روي أن جارية لَهَا أَتَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَتْ: إِنَّ صَفِيَّةَ تُحِبُّ السَّبْتَ، وَتَصِلُ الْيَهُودَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عُمَرُ، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: أَمَّا السَّبْتُ فَإِنِّي لَمْ أُحِبَّهُ مُنْذُ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَأَمَّا الْيَهُودُ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ رَحِمًا، وَأَنَا أَصِلُهَا. ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتِ: الشَّيْطَانُ قَالَتِ: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ[٣].

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٦) من طريق الواقدي.

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٦) عن عطاء بن يسار به، ومن طريق الواقدي.

(٣) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٦٠٥)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٦٨)، وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٤١).

OBEIKAN.COM

موقفها مع سيدنا عثمان:

وعن كنانة قال: كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ لِتَرُدَّ عَنْ عُثْمَانَ فَلَقِيَهَا الأَشْتَرُ فَضَرَبَ وَجْهَ بَغْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ فَقَالَتْ: رُدُّونِي لا يَفْضَحُنِي هَذَا، قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: ثُمَّ وَضَعَتْ خَشَبًا مِنْ مَنْزِلِهَا وَمَنْزِلِ عُثْمَانَ تَنْقُلُ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَالطَّعَامَ[١].

❁ أثرها في الآخرين:

قالت صهيرة بنت جيفر: حججنا ثم انصرفنا إلى المدينة فدخلنا على صفية بنت حيي فوافقنا عندها نسوة من أهل الكوفة فقلن لها: إن شئتن سألتن وسمعنا، وإن شئتن سألنا وسمعتن، فقلنا سلن، فسألن عن أشياء من أمر المرأة وزوجها ومن أمر المحيض ثم سألن عن نبيذ الجر، فقالت: أكثرتم علينا يا اهل العراق في نبيذ الجر، وما على إحداكن أن تطبخ تمرها ثم تدلكه ثم تصفيه فتجعله في سقائها وتوكئ عليه، فإذا طاب شربت وسقت زوجها[٢].

❁ بعض الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ:

عن ابن صفوان عن أم المؤمنين صفية بنت حيي عن النبي ﷺ قال: «لَا

---

(١) أخرجه ابن الجعد في «المسند» (٢٦٦٦)، وابن أبي شيبة (٢١٢٦١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٢٨) من طريق مالك بن إسماعيل، والحسن بن موسى قالا: حدثنا زهير، عن كنانة به، وكنانة مقبول، ولم أقف له على متابع.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٧)، وابن أبي شيبة (١٢٤٢٩١) وغيرهما من طريق يعلى بن حكيم، عن صهيرة بنت جيفر به، وصهيرة مجهولة، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٣): رواه أحمد، والطبراني، وأبو يعلى، وصهيرة لم يرو عنها غير حكيم فيما وقفت عليه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

يَنْتَهِي النَّاسُ عَنْ غَزْوِ هَذَا البَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَلَمْ يَنْجُ أَوْسَطُهُمْ»، قالوا: يا رسول الله يكون فيهم المكره، قال: «**يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ**»(١).

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي قالت: ما رأيت أحدًا أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ لقد رأيته وقد ركب بي من خيبر على عجز ناقته ليلًا فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده، ويقول: «**يا هذه مهلًا يابنت حيي مهلًا**»، حتى إذا جاء الصهباء قال: «**أما إني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك إنهم قالوا لي كذا وكذا، وقالوا لي كذا**»(٢).

حدث مسروق عن صفية رضي الله عنها أنها قالت: قمت إلى النبي ﷺ فقلت: إنه ليس من أزواجك أحد إلا لها قرابة أو عشيرة، قالت: من توصي بي؟ قال: «**أوصي بك إلى علي**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٢، ٢٨٨٣) من طرق عن عائشة، وأم سلمة رضي الله عنهما، دون قوله: «**لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت**». وأخرجه الترمذي (٢١٨٤)، وابن ماجه (٤٠٦٤)، وأحمد (٦/ ٣٣٦، ٣٣٧) وغيرهم مطولًا من طريق مسلم ابن صفوان بن صفية به، ومسلم بن صفوان مجهول، فالإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٧١٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٤٤)، وفي الإسناد عثمان ابن كعب: مقبول، ورجل آخر مبهم لا يعرف، فالإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣١١)، ومن طريقه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٨٠) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن مالك، عن مسروق به، ومالك بن مالك مجهول لا يعرف، وله طريق آخر عند ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني» (٣١١١) من طريق أبي إسحاق عن عمار، قال: نزل شيخ من أهل المدينة على مسروق، فحدث عن صفية... الحديث، وعمار هذا لم أستطع معرفته، والله أعلم.

OBEIKAN.COM

❁ وصيتها:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: وَرِثَتْ صَفِيَّةُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بِقِيمَةِ أَرْضٍ وَعَرَضٍ فَأَوْصَتْ لابْنِ أُخْتِهَا، وَهُوَ يَهُودِيٌّ، بِثُلُثِهَا، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: فَأَبَوْا يُعْطَوْنَهُ حَتَّى كَلَّمَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمُ: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْطُوهُ وَصِيَّتَهُ، فَأَخَذَ ثُلُثَهَا وَهُوَ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَنَيِّفٌ، وَكَانَتْ لَهَا دَارٌ تَصَدَّقَتْ بِهَا فِي حَيَاتِهَا[١].

❁ وفاتها:

وتوفيت أم المؤمنين صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقبرت بالبقيع[٢].

وعن عكرمة قال: ماتت بعض أزواج النبي ﷺ، قال إسحاق: أظنه سماها صفية بنت حيي بالمدينة فأتيت ابن عباس فأخبرته فسجد فقلت له: أتسجد ولما تطلع الشمس؟ فقال ابن عباس: لا أم لك أما علمت أن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيتم الآية فاسجدوا وأية آية أعظم من أمهات المؤمنين يخرجن من بين أظهرنا ونحن أحياء**»[٣].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٢٨) من طريق الواقدي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٤٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١١٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٧٣) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف.

OBEIKAN.COM

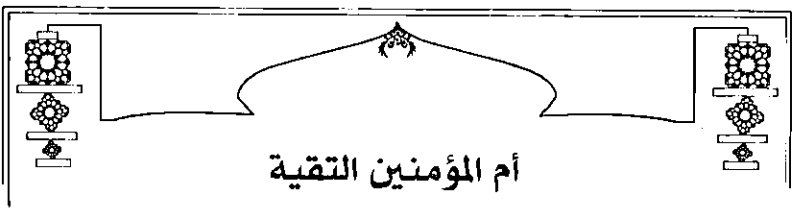

أم المؤمنين التقية

أُمّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِيْ سُفْيَانَ ﷺ

رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أم حبيبة زوج النبي ﷺ اختلف في اسمها، فقيل: رملة، وقيل: هند، والمشهور: رملة وهو الصحيح عند جمهور أهل العلم بالنسب والسير والحديث والخبر(١).

❁ الهجرة والمحنة:

أسلمت ﷺ قديمًا بمكة، وما أن اشتد الأذى من المشركين على الصحابة في مكة، فأذن الرسول ﷺ للمستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، فهاجرت أم حبيبة مع زوجها عبد الله بن جحش، فقد تحملت أم حبيبة أذى قومه، وهجر أهله، والغربة عن وطنها وديارها من أجل دينها وإسلامها... وبعد أن استقرت في الحبشة جاءتها محنة جديدة أشد وأقوى، فقد ارتد زوجها عن الإسلام وتنصر، وتقول أم حبيبة ﷺ: رأيت في المنام كأن زوجي عبيد الله بن جحش بأسود صورة ففزعت، فأصبحت فإذا به قد تنصر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به، وأكب علي الخمر حتى مات(٢).

---

(١) ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٥٩٥) وغيره.

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٤٣).

OBEIKAN.COM

❁ زواج أم حبيبة من الرسول ﷺ:

علم الرسول ﷺ بما جرى لأم حبيبة، فأرسل إلى النجاشي طالبًا الزواج منها، ففرحت أم حبيبة، وصدقت رؤياها، فعهدها وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار، ووكلت هي ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص، وفي هذا دلالة على أنه يجوز عقد الزواج بالوكالة في الإسلام[١]، وبهذا الزواج خفف الرسول من عداوته لبني أمية، فعندما علم أبو سفيان زواج الرسول من ابنته رملة، قال: ذاك الفحل، لا يقرع أنفه! ويقصد أن الرسول رجل كريم، وبهذه الطريقة خفت البغضاء التي كانت في نفس أبي سفيان على الرسول ﷺ، كما أن في هذا الموقف دعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة؛ لأنها تؤدي إلى دفع وزوال الحقد والضغينة وصفاء النفوس بين المتخاصمين[٢].

❁ أهم ملامح شخصيتها رضي الله عنها:

تمتعت أم المؤمنين أم حبيبة بصفات عظيمة جعلت النبي ﷺ يتزوجها، وتنال هذا المكانة والتي تحلم بها كل امرأة ومن هذه الصفات:

١ - الصبر والثبات على الحق:

فقد تزوجت قبل الإسلام من عبيد الله بن جحش بن رياب الأسدي ثم أسلما معًا وهاجرا إلى الحبشة، وولدت له حبيبة، وبعد مدة تنصر زوجها ومات، وثبتت هي على الإسلام.

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٧)، وابن هشام في «السيرة» (٥/ ٥٩)، والطبري في «التاريخ» (٢/ ١٣٢)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٤٣).

(٢) «نساء حول الرسول ﷺ» (١/ ٤٤) لمحمد بن برهان.

OBEIKANDL.COM

٢ - الموالاة لله ولرسوله فقط:

ونرى ذلك في موقفها مع أبي سفيان، عندما ذهب إلى المدينة سنة ثماني من الهجرة حتى يحدد صلح الحديبية.

فقد خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: «يا بنيتي ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني أم رغبت به عنه»، قالت: هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش النبي ﷺ[(١)].

٣ - الكرم:

ونرى هذه الصفة واضحة عندما أخبرت أبرهة وهي جارية حبشية كانت تخدم النجاشي أم حبيبة بنبأ الرسالة والتي بعث بها رسول الله يطلب فيها تزويجه من أم حبيبة، ففرحت أم المؤمنين أم حبيبة وأعطت الجارية أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سرورًا بما بشرتها به[(٢)].

مواقفها مع الرسول ﷺ:

ولها مواقف عديدة مع الرسول ﷺ، فهي زوجته وتحبه أكثر من نفسها

---

(١) ابن هشام في «السيرة» (٥/ ٥٠)، والطبري في «التاريخ» (٢/ ١٥٤)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ٥٣٤).

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٢)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٤).

OBEIKAN.COM

وتحرص على أن تنال العلم والحكمة منه ﷺ.

قالت أم المؤمنين أم حبيبة يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «**أو تحبين ذلك**»، فقلت: نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في الخير أختي، فقال النبي ﷺ: «**إن ذلك لا يحل لي**»، قلت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سملة؟ قال: «**بنت أم سلمة**»، قلت: نعم، فقال: «**لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي أنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن**[١].

وقالت أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: «**قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودات وأرزاق مقسومة لن يجعل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل**[٢].

❁ من مواقفها مع الصحابة رضي الله عنهم:

كان لأمير المؤمنين أم حبيبة مواقف مع الصحابة رضوان الله عليهم تنم عن قلب طاهر وكبير، يسع حبه كل الناس، فعن عائشة قالت: دعتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحلليني من ذلك فحللتها واستغفرت لها فقالت لي: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة[٣]، فأم حبية رضي الله عنها تريد أن تلقى الله عز وجل وما هناك

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١، ٥١٠٧)، ومسلم (١٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٣)، وأحمد (١/ ٣٩٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» =

أحد بينها وبينه شيء.

ولها موقف مشرف يوم أحاط الثوار بدار عثمان بن عفان، فعندما أشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح ابنا لعمرو إلى علي بأنهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئًا من الماء فافعلوا وإلى طلحة وإلى الزبير وإلى عائشة ﵂ وأزواج النبي ﷺ، فكان أولهم إنجادًا له علي وأم حبيبة جاء علي في الغلس، فقال: يا أيها الناس، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي وما تعرض لكم هذا الرجل فبم تستحلون حصره وقتله، قالوا: لا والله ولا نعمة عين لا نتركه يأكل ولا يشرب فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني فرجع وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة مشتملة على إداوة فقيل: أم المؤمنين أم حبيبة فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل قالوا: كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأم حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت رحالتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها[1].

❁ أثر الرسول ﷺ في تربيتها:

هناك موقف يذكره التاريخ لأم المؤمنين أم حبيبة ﵂ يظهر فيه أثر الرسول ﷺ في تربيتها.

= (٢/ ٢٢٣)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨).

(١) ذكره سيف بن عمر الضبي في «الفتنة ووقعة الجمل» (١/ ٦٦)، والطبري في «التاريخ» (٢/ ٦٧٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٤٣٤).

فقد خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنيتي ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني أم رغبت بي عنه قالت: هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش النبي ﷺ[(١)]، ما أجمله من موقف من أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، فهي لا تريد أن يجلس أبوها أبو سفيان على فراش رسول الله ﷺ وهو ما يزال على كفره.

وهو موقف يبين مدى تمسكها بدينها وأن رابطة الدين عندها أقوى من رابطة الدم حتى ولو كان أباها في وقت كانت العرب تقول فيه كل فتاة بأبيها معجبة.

❁ من الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ:

عن أم المؤمنين أم حبيبة أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»[(٢)].

وعن أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ**»، قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ[(٣)].

---

(١) ابن هشام في «السيرة» (٥/ ٥٠) وغيره، وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣٨)، ومسلم (١٤٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٨)، وأبو داود (١٢٥٠)، والنسائي (١٧٩٧)، وابن ماجه (١١٣٢)، وأحمد (٢/ ٤٩٨)، و(٦/ ٣٢٦، ٣٢٧) وغيرهم عن أكثر من =

OBEIKAN.COM

وقالت أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرُمَ عَلَى النَّارِ**»(١).

وعن أم حبيبة قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنَ الرَّضَاعِ مَا حَرَّمَ مِنَ النَّسَبِ**»(٢).

الوفاة:

توفيت أم المؤمنين أم حبيبة سنة أربع وأربعين.

ودفنت بالبقيع(٣)، رضي الله عن الصحابية الجليلة أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

= صحابي، عن النبي ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٢٧، ٤٢٨)، والنسائي (١٨١٥) وغيرهم من طرق عن أم حبيبة به، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٤٥، ٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٥، ١٤٤٧) من حديث ابن عباس، وعائشة ﷺ، ولم أقف عليه بهذا اللفظ من حديث أم حبيبة ﷺ، وإنما وقفت عليه بالمعنى، كما عند البخاري (٥١٠١، ٥١٠٧)، ومسلم (١٤٤٩)، وقد تقدم، والله أعلم.

(٣) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٠٠)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٥٩٦)، ابن كثير في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٧٧)، والذهبي (٨/ ١٣٢)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٢٦).

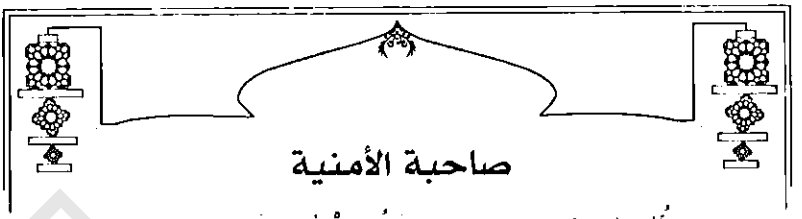

صاحبة الأمنية

أُمّ المؤمنين ميمونةُ بنْت الحارث ﵂

هي ميمونة بنت الحارث أخت أم الفضل لبابة.

وميمونة هي أم المؤمنين كان اسمها برة، فسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة.

وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، وقيل: عند سخبرة بن أبي رهم المذكور.

وقيل: عبد حُويطب بن عبد العزى، وقيل: عند فروة أخيه.

وتزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة، سنة سبع، لما اعتمر عمرة القضية، فيقال: أرسل جعفر بن أبي طالب يخطبها فأذنت للعباس فزوجها منه[١].

❁ أثر الرسول في تربيتها:

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂ تقول عن السيدة ميمونة إنها والله كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم[٢]، وكان ذلك نتاج تربية الرسول ﷺ

---

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٣٢)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٢٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٣٨)، والهيثمي في «مسند =

OBEIKAN.COM

فعن سليمان بن يسار أنه قال: دخل رسول الله ﷺ بيت ميمونة بنت الحارث فإذا ضباب فيها بيض ومعه عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد، فقال: من أين لكم هذا، فقالت: أهدته لي أختي هزيلة بنت الحارث فقال لعبد الله بن عباس وخالد بن الوليد كلا فقالا أولًا تأكل أنت يا رسول الله فقال: إني تحضرني من الله حاضرة قالت: ميمونة أنسقيك يا رسول الله من لبن عبدنا فقال: نعم، فلما شرب، قال: من أين لكم هذا؟ قالت: أهدته لي أختي هزيلة، فقال رسول الله ﷺ: **«أرأيتك جاريتك التي كنت استأمرتتيني في عتقها أعطيها أختك وصلي بها رحمك ترعى عليها فإنه خير لك»**[(١)].

❊ بعض المواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب[(٢)].

وقال ابن هشام كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس، فزوجها رسول الله ﷺ، وأصدقها عنه أربعمائة درهم[(٣)].

= الحارث» (٤٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، بإسناد حسن.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٧٣٧) رواية يحيى الليثي، من طريق سليمان بن يسار به، وسليمان هذا تابعي، ولم يدرك الواقعة، فالإسناد مرسل.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٠)، والطبري في «الكبير» (١١/ ١٧٣)، بإسناد صحيح.

(٣) ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٠).

OBEIKAN.COM

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيرًا قالت: الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ، قال: وفيها نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٠][(١)].

وقد روى البخاري من طريق أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف[(٢)].

وعن كريب مولى ابن عباس، عن ابن عباس، عن ميمونة بنت الحارث قالت: وَضَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ غُسْلًا وَسَتَرْتُهُ، فَصَبَّ عَلَى يَدِهِ، فَغَسَلَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ - قَالَ: سُلَيْمَانُ لاَ أَدْرِي، أَذَكَرَ الثَّالِثَةَ أَمْ لاَ؟ - ثُمَّ أَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ، فَغَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالأَرْضِ أَوْ بِالحَائِطِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَغَسَلَ رَأْسَهُ، ثُمَّ صَبَّ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ خِرْقَةً، فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَلَمْ يُرِدْهَا[(٣)].

وتقول أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث: أخذت الناس سنة وكان الأعراب يأتون المدينة وكان النبي ﷺ يأمر الرجل فيأخذ بيد الرجل فيضيفه

---

(١) ابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٤٣٩)، ولم يذكر الآية كاملة.

(٢) البخاري (٤٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦).

OBEIKAN.COM

ويعيشه فجاء أعرابي ليلة وكان لرسول الله ﷺ طعام يسير وشيء من لبن فأكله الأعرابي ولم يدع لرسول الله ﷺ شيئًا فجاء به ليلة أو ليلتين، فجعل يأكله كله فقلت لرسول الله ﷺ: اللهم لا تبارك في هذا الأعرابي يأكل طعام رسول الله ﷺ ويدعه ثم جاء به ليلة فلم يأكل من الطعام إلا يسيرًا، فقلت لرسول الله ﷺ ذاك وجاء به ليلة وقد أسلم، فقال: «**إن الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَإن الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**»(١).

❁ أثرها في الآخرين دعوتها وتعليمها:

تقول مولاة أم المؤمنين لميمونة بنت الحارث: أرسلتني ميمونة إلى ابن عباس فرأيت فراشه معتزلًا عن فراش امرأته وعنده يومئذ بنت مشرح فقالت: ما بالك؟ قالت: هكذا يصنع بي إذا حضت، قالت: فأتيت ميمونة فأخبرتها، قال: وقالت: فأرسلتني إليه، ما الذي تصنع؟ لقد كان رسول الله ﷺ يباشر إحدانا وهي حائض وما عليها إلا إزارها يبلغ نصف فخذها...(٢).

ويروي أبو إسحاق عن جري بن كليب العامري، قال: لما سار علي إلى صفين كرهت القتال فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٥، ٥٣٩٦)، ومسلم (٢٠٦٠: ٢٠٦٢) من حديث ابن عمر، وأبي هريرة، وجابر ﷺ، مقتصرين على قول النبي ﷺ، أما قصة الأعرابي فلم أقف عليها إلا من حديث ميمونة ﷺ، كما عند إبراهيم بن إسحاق الحربي في «إكرام الضيف» (٧١)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٤٣٢)، والإسناد إليها صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٢) من طريق سفيان بن حسين ثقة، إلا أن روايته عن الزهري ضعيفة، ومولاة ميمونة مبهمة لا تعرف، فالإسناد ضعيف.

فقالت: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أيهم؟ قلت: من بني عامر، قالت: رحبًا على رحب وقربًا على قرب تجيء ما جاء بك قال: قلت: سار علي إلى صفين، وكرهت القتال فجئنا إلى هاهنا قالت: أكنت بايعته؟ قال: قلت: نعم قالت: فارجع إليه فكن معه فو الله ما ضل ولا ضل به[١].

❊ بعض الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ:

عن عبد الله وهو ابن سليط عن إحدى أمهات المؤمنين وهي ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: أخبرني النبي ﷺ قال: «**ما من ميت يصلي عليه أمه من الناس إلا شفعوا فيه**»، فسألت أبا المليح عن الأمة؟ فقال: أربعون[٢].

وعن نافع، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس أن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: من صلى في مسجد رسول الله ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة...**»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن ميمونة زوج النبي قالت: توضأ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤١)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٩) من طرق أبي إسحاق السبيعي عن جري بن كليب، وجري بن كليب: مقبول، وعند الطبراني ذكر جري بن سمرة، ولم أقف له على ترجمة.

(٢) أخرجه مسلم (٩٤٨) من حديث ابن عباس، أما حديث ميمونة فأخرجه النسائي (١٩٩٢).

(٣) أخرجه النسائي (٦٩١)، وأحمد (٦/ ٣٣٤)، والحديث صحيح.

وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما أصابه من الأذى ثم أفاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما هذه غسله من الجنابة[١].

وعن يحيى بن سليمان قال: حدثنا ابن وهب أو قرئ عليه قال: أخبرني عمرو عن بكير عن كريب عن ميمونة ﵂: أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة فأرسلت إليه بحلاب وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون[٢].

❁ الوفاة:

توفيت ﵂ في عام إحدى وخمسين، ولها ثمانون عام، يقول عطاء: حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف فقال ابن عباس: هذه زوجة رسول الله ﷺ، فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها، وارفقوا، فإنه كان عند النبي ﷺ تسع، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة[٣].

يقول يزيد بن الأصم: قال: ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أختها أحد، فقالت: أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة، فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة، فماتت ﵂، قلت: وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩)، ومسلم (٣١٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٩)، ومسلم (١١٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٧)، ومسلم (١٤٦٥).
(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٣٠٧).

OBEIKAN.COM

أم إبراهيم المصرية

أُمُّ المُؤمنينَ مَارِيَة ﵂

هي مارية بنت شمعون، من كورة حفن...

❁ قصة إسلامها ومن الذي دعاها إلى الإسلام:

بَعَثَ الْمُقَوْقَسُ صَاحِبُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ بِمَارِيَةَ وَبِأُخْتِهَا سِيرِينَ، وَأَلْفِ مثقال ذَهَبًا وَعِشْرِينَ ثَوْبًا لَيِّنًا، وَبَغْلَتِهِ الدُّلْدُلِ وَحِمَارِهِ عُفَيْرٍ، وَيُقَالُ: يَعْفُورٌ، وَمَعَهُمْ خَصِيٌّ يُقَالُ لَهُ: مَابُورُ شَيْخٌ كَبِيرٌ كَانَ أَخَا مَارِيَةَ، وَبَعَثَ بِذَلِكَ كُلِّهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ.

فَعَرَضَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ عَلَى مَارِيَةَ الإِسْلامَ وَرَغَّبَهَا فِيهِ فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَتْ أُخْتُهَا وَأَقَامَ الْخَصِيُّ عَلَى دِينِهِ حَتَّى أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[1].

❁ مواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

وكانت أم المؤمنين مارية بيضاء جميلة، فأنزلها رسول الله ﷺ في العالية، في المال الذي صار يقال له: سرية أم إبراهيم، وكان يختلف إليها هناك، وكان يطؤها بِمَلك اليمن، وضرب عليها مع ذلك الحجاب، فحملت منه، ووضعت هناك في ذي الحجة سنة ثمان.

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢١٢)، وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١١١).

وفي السنة الثامنة من الهجرة في شهر ذي الحجة ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من أم المؤمنين مارية القبطية، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولدًا ذكرًا، وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ، وبولادة إبراهيم أصبحت مارية حرة وعن ابن عباس قال: لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ: «**أعتقتها ولدها**»(١)، وعاش إبراهيم ابن الرسول ﷺ سنة وبضع شهور يحظى برعاية رسول الله ﷺ، ولكنه مرض قبل أن يكمل عامه الثاني، وذات يوم اشتد مرضه، ومات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهرًا(٢)، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من ربيع الأول سنة عشر من الهجرة النبوية المباركة، وحزنت مارية حزنًا شديدًا على موت إبراهيم(٣)، وعن أنس رضي الله عنه قال: أن ابن عم مارية كان يتهم بها، فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**اذهب فإن وجدته عند مارية فاضرب عنقه**»، فأتاه علي فإذا هو في ركي يتبرد فيها، فقال له علي: اخرج فناوله يده، فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف عنه علي ثم أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه مجبوب ما له ذكر(٤)، وفي لفظ آخر أنه وجده في نخلة يجمع تمرًا، وهو ملفوف بخرقة، فلما رأى السيف ارتعد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥١٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣١٣٢) من طريق الحسين بن عبد الله، والحسين بن قيس، عن عكرمة، عن ابن عباس به، والحسين ابن عبد الله: ضعيف، والحسين بن قيس: متروك.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٨٩) بإسناد حسن، من حديث عائشة قالت: «مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

(٣) محمد بن برهان في «نساء حول الرسول ﷺ» (١/ ٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٧١).

وسقطت الخرقة، فإذا هو مجبوب لا ذكر له[١].

❁ بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: ما غرْتُ على امرأة إلا دون ما غرْتُ على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جَعدة، فأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان عامة الليل والنهار عندها، حتى فزعنا لها، فجزعت، فحوَّلها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا[٢].

❁ الوفاة:

ماتت في المحرم سنة ست عشرة، وكان عمر يحشر الناس لشهودها، وصلى عليها بالبقيع.

وقال ابن منده: ماتت أم المؤمنين مارية بعد النبي ﷺ بخمس سنين[٣].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) ابن القيم في «زاد المعاد» (٥/ ١٦).

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢١٢) من طريق الواقدي.

(٣) ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١١٢).

OBEIKAN.COM

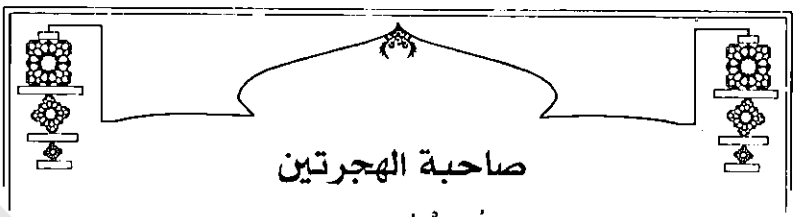

صاحبة الهجرتين
رُقَيَّة بِنْتُ النبي ﷺ

رقية بنت رسول الله ﷺ أمها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

رقية بنت سيد البشر ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية.

كان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت دون العاشرة وزوَّج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة تبت، قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب: فارقا ابنتي محمد، ففارقاهما قبل أن يدخل بهما كرامة من الله تعالى وهوانا لابني أبي لهب[١].

❊ إسلامها وهجرتها إلى الحبشة:

وقد أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء.

وولدت السيدة رقية وعمر النبي ﷺ ثلاث وثلاثين، وبعث النبي ﷺ وعمره أربعين، وأسلمت رقية مع أمها خديجة فعلى هذا يكون عمرها عند إسلامها سبع سنوات.

---

(١) ابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٤٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ١٢٦).

OBEIKAN.COM

وكانت تكنى بأم عبد الله، وتكنى بذات الهجرتين - هجرة الحبشة وهجرة المدينة -.

ولما أراد عثمان بن عفان رضي الله عنه الخروج إلى أرض الحبشة قال له رسول الله ﷺ: «**اخرج برقية معك**»، قال: أخال واحد منكما يصير على صاحبه، ثم أرسل النبي ﷺ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، فقال: «**ائتني بخبرهما**»، فرجعت أسماء إلى النبي ﷺ، وعنده أبو بكر رضي الله عنه، فقالت: يا رسول الله، اخرج حمارًا موكفًا، فحملها عليه، وأخذ بها نحو البحر، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام**»[(١)].

❁ زواجها من عثمان رضي الله عنه:

شاءت قدرة الله لرقية أ، ترزق بعد صبرها زوجًا صالحًا كريمًا من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وذلك هو عثمان بن عفان، صاحب النسب العريق، والطلعة البهية، والمال الموفور، والخلق الكريم، وعثمان بن عفان أحد فتيان قريش مالًا، وجمالًا، وعزًّا، منعةً، تصافح سمعه همسات دافئة تدعو إلى عبادة العليم الخبير الله رب العالمين، والذي أعزه الله في الإسلام سبقًا وبذلًا وتضحية، وأكرمه بما يقدم عليه من شرف المصاهرة، وما كان الرسول الكريم ليبخل على صحابي مثل عثمان بمصاهرته، وسرعان ما استشار ابنته، ففهم منها الموافقة عن حب وكرامة، وقم لعثمان نقل عروسه إلى

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠)، وفي الإسناد الحسن بن الفرج، ضعفه العلماء، وفيه محمد بن عمر، وأظنه الواقدي، والله أعلم.

QBTKAN.COM

بيته، وهو يعلم أن قريشًا لن تشاركه فرحته، وسوف تغضب عليه أشد الغضب، ولكن الإيمان يفديه عثمان بالقلب ويسأل ربه القبول.

ودخلت رقية بيت الزوج العزيز، وهي تدرك أنها ستشاركه دعوته وصبره، وأن سبلًا صعبة سوف تسلكها معه دون شك إلى أن يتم النصر لأبيها وأتباعه، وسعدت رقية رضي الله عنها بهذا الزواج من التقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وولدت رقية غلامًا من عثمان فسماه عبد الله، واكتنى به[١].

وفاتها:

وتوفيت السيدة رقية رضي الله عنها وأرضاها عند عثمان بن عفان مرجع رسول الله ﷺ من بدر ودفنت بالمدينة، وذلك أن عثمان استأذن رسول الله ﷺ في التخلف عند خروجه إلى بدر لمرض ابنته رقية وتوفيت رقية يوم قدوم زيد ابن حارثة العقيلي من قبل يوم بدر[٢].

توفيت ولها من العمر اثنتان وعشرون سنة ودفنت في البقيع.

رحم الله رقية بطلة الهجرتين، وصلاة وسلامًا على والدها في العالمين، ورحم معها أمها وخواتها وابنها، وشهداء در الأبطال، وسلام عليها وعلى المجاهدين الذي بذلوا ما تسع لهم أنفسهم به من نصره لدين الله ودفاع عن كلمة الحق الوحيد إلى يوم الدين، والسعي إلى إعلاء كلمة الله...[٣].

---

(١) محمد بن برهان في «نساء حول الرسول ﷺ» (١/ ٧٨).

(٢) ابن حبان في «الثقات» (٢/ ١٤٤).

(٣) محمد بن برهان في «نساء حول الرسول ﷺ» (١/ ٨٥).

ثانية النورين

أم كلثوم بنت النبي ﷺ

هي أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة فلما بُعث رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، قال له أبوه لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته، ففارقها ولم يكن دخل بها، فلم تزل بمكة مع رسول الله ﷺ[١].

وأم كلثوم أسن من رقية ومن فاطمة، وخالفه غيره، والصحيح أنها أصغر من رقية لأن رسول الله ﷺ زوج وقية من عثمان فلما توفيت زوجه أم كلثوم وما كان ليزوج الصغرى ويترك الكبرى، والله أعلم[٢].

إسلامها:

أسلمت حين أسلمت أمها، وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء، وهاجرت إلى المدينة حين هاجر رسول الله ﷺ.

خرجت أم كلثوم إلى المدينة لما هاجر النبي ﷺ مع فاطمة وغيرها من

---

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٥١)، وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٤٦٩).

(٢) ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٤٢١).

OBEIKAN.COM

أولاد النبي ﷺ فتزوجها عثمان بعد موت أختها رقية في ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة[١].

وعن قتادة بن دعامة قال: تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عتيبة بن أبي لهب فلم يبن بها حتى بعث النبي ﷺ، وكانت رقية عند أخيه عتبة بن أبي لهب، فلما أنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: الآية ١]، قال أبو لهب لابنيه عتيبة وعتبة: رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، وقالت: أمهما بنت حرب بن أمية - وهي حمالة الحطب -: طلقاهما يا بني؛ فإنهما قد حبتا فطلقاهما[٢].

❁ من مواقفها مع الرسول ﷺ:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن أم كلثوم بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، زوجي خير أو زوج فاطمة؟ قالت: فسكت النبي ﷺ، ثم قال: «**زوجك ممن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، فولت، فقالت له: هلمي، ماذا قلت؟ قال: قلت: زوجي ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: نعم، وأزيدك: دخلت الجنة فرأيت منزله، ولم أر أحدًا من أصحابي يعلوه في منزله[٣].

---

(١) ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٣٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٤٣٥) من طريق زهير بن العلاء، عن سعد بن أبي عروبة، عن قتادة به، وزهير بن العلاء قال الذهبي في «المغني في الضعفاء»: قال أبو حاتم: أحاديثه موضوعة.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي الإسناد: الوليد بن الوليد، قال الدارقطني: متروك.

OBEIKAN.COM

❁ زواجها:

لما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ خلف عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وكانت بكرًا، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة.

وروى سعيد بن المسيب: أن النبي ﷺ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهمومًا لهفان، فقال له: «**ما لي أراك مهمومًا**»، قال: يا رسول الله، وهل دخل على أحد ما دخل علي ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي، وانقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره؛ إذ قال النبي ﷺ: «**يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها**»، فزوجه إياها[١].

لما زوج النبي ابنته أم كلثوم بعثمان قال لها: «**إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد**»[٢].

وتقول أم عياش أن رسول الله ﷺ قال: «**ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء**»[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤)، وابن منده في «معرفة الصحابة» (٢/ ٩٣٢)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٤٢٢) من طريق عبد الله بن صالح، عن ابن لهيعة، وكلاهما ضعيف.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥/ ١٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الإسناد عمرو بن الأزهر: متروك، وقد حكم عليه بالوضع الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٤٦)، وابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٦٨)، (٢٥/ ٩٢)، وابن منده في =

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعثمان: «**يا عثمان هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صدق رقية وعلى مثل صحبتها**»(١).

❁ وفاتها:

توفيت في شعبان في السنة التاسعة من الهجرة.

وعن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن نغسل ابنته أم كلثوم، فقال: «**اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فآذنني**»، فلما آذناه، فألقى إلينا حقوه، وقال: «**أشعرنها إياه**»(٢).

توفيت في حياة النبي ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله ﷺ على قبرها ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة(٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: لما وضعت أم كلثوم ابنة رسول الله ﷺ في القبر قال رسول الله ﷺ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: الآية ٥٥]. ثم لا أدري أقال: باسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله أم لا(٤).

= «معرفة الصحابة» (٢/ ٩٣١) من طريق عبد الكريم بن روح بن عنبسة، عن أبيه، وكلاهما مجهول، وقال ابن منده: غريب لا يعرف عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥٣، ١٢٥٤)، ومسلم (٩٣٩).

(٣) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٨) من طريق الواقدي.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤) والحاكم في «المستدركة» (٢/ ٣٧٩)، والبيهقي في =

وعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ جالسًا على قبرها يعني أم كلثوم وعيناه تدمعان فقال: «**فيكم أحد لم يقارف الليلة**»، فقال أبو طلحة: أنا قال: «**انزل**»[١].

= «الكبرى» (٣/ ٤٠٩) من حديث أبي أمامة. وفي الإسناد علي بن يزيد الإلهاني ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٢).

OBEIKAN.COM

المرضعة

حَليمَةُ السَعْدِيَة ﵂

هي حليمة بنت أبي ذؤيب، واسم أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة، أم النبي ﷺ من الرضاعة فهي التي أرضعت رسول الله ﷺ حتى أكملت رضاعه واسم أبي رسول الله ﷺ من الرضاع يعني زوج حليمة الحارث بن عبد العزى. . .

❊ أخذها للنبي ﷺ وإرضاعه:

وعن حليمة ﵂ قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء، فقدمت على أتان قمراء كانت أذمت بالركب، ومعي صبي لنا، وشارف لنا والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ما يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، فإذا قيل: يتيم تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه!

إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري فلم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه.

فقال: لا عليك، فذهبت فأخذته فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي،

OBEIKAN.COM

فأقبل على ثدياي بما شاء من لبن وشرب أخوه حتى روى وقام صاحبي إلى شارفي تلك، فإذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة، فقال لي صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك أخذت نسمة مباركة...[١].

وكانت رضي الله عنها عندما وقفت على عبد المطلب تسأله رضاع رسول الله ﷺ قال لها: من أنت؟ قالت: امرأة من بني سعد، قال: فما اسمك؟ قالت: حليمة فقال: بخ بخ سعد وحلم هاتان خلتان فيهما غناء الدهر[٢].

❁ بعض ما حدث للنبي ﷺ في بيتها:

عن ابن عباس قال: خرجت حليمة تطلب النبي ﷺ، وقد وجدت البهم تقيل، فوجدته مع أخته، فقالت: في هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أمه، ما وجد أخي حرًّا، رأيت غمامة تظلل عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع...[٣].

وبينهما هو يلعب وأخوه يومًا خلف البيوت يرعيان بَهْمًا لنا، إذ جاءنا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي قد جاءه رجلان، فأضجعاه، وشقا بطنه فخرجنا نشتد، فانتهينا إليه، وهو قائم منتقع لونه

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٢٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٧١٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٧٧) من طريق جهم بن أبي جهم قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول: حُدثت عن حليمة ابنة الحارث أم رسول الله ﷺ به، فالإسناد ضعيف جدًّا.

(٢) أبو سعد عبد الملك النيسابوري في «شرف المصطفى ﷺ» (١/ ٣٧٤).

(٣) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٥٢) من طريق الواقدي.

فاعتنقه أبوه واعتنقه، ثم قلنا: مالك أي بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني ثم شقا بطني، فوالله ما أدري ما صنعًا، قالت: فاحتملناه روجعنا به، قالت: يقول أبوه: يا حليمة ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب فانطلقي فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت: فرجعنا به، فقالت: ما يردكما به، فقد كنتما حريصين عليه؟ قالت: فقلت: لا والله أن كفلناه، وأدينا الحق الذي يجب علينا، ثم تخوفنا الأحداث عليه، فقلنا: يكون في أهله، فقالت أمه: والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره، فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره، قالت: فتخوفتما عليه، كلا والله إن لابني هذا شأنًا ألا أخبركما عنه؟ إني حملت به فلم أحمل حملًا قط كان أخف علي ولا أعظم بركة منه ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصري ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع واضعًا يده بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء، دعاه والحقا بشأنكما. . .[1].

❁ من مواقفها مع الرسول ﷺ:

عن أبي الطفيل أن النبي ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحمًا، فأقبلت امرأة بدوية، فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: هذه أمه التي أرضعته[2].

وقال ابن سعد في «الطبقات»: قدمت حليمة بنت عبد الله على

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٤٦) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٨١) من حديث أبي الطفيل به، وفي الإسناد عمارة بن ثوبان، وجعفر بن يحيى بن عمارة ضعيفان.

رسول الله ﷺ مكة، وقد تزوج خديجة، فتشكت جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة فيها، فأعطتها أربعين شاة[١].

وقد رأت حليمة السعدية من النبي ﷺ الخير والبركة وأسعدها الله بالإسلام هي وزوجها وبنيها[٢].

❁ **وفاتها** رضي الله عنها:

عمّرت رضي الله عنها دهرًا ولم يعرف تحديدًا سنة وفاتها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣٣).

(٢) محمد رضا في «محمد رسول الله ﷺ» (١/ ١٧).

OBEIKAN.COM

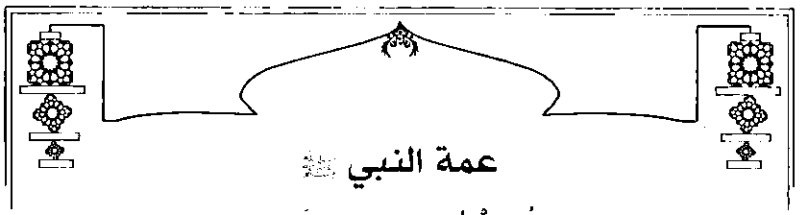

عمة النبي ﷺ

صفيَة بِنْت عَبْد المطلب رضي الله عنها

هي صفية بنت عبد المطلب، الهاشيمة، وهي عمة النبي ﷺ وشقيقة حمزة، وأم حواري النبي ﷺ: الزبير، وأمها من بني زهرة.

تزوجها الحارث أخو أبي سفيان بن حرب فتوفي عنها.

وتزوجها العوام أخو سيدة النساء خديجة بنت خويلد، فولدت له: الزبير والسائب وعبد الكعبة[١].

❁ قصة إسلامها:

هي من المهاجرات الأُوَل، ولا يُعلم هل أسلمت مع حمزة أخيها، أو مع الزبير ولده.

❁ من ملامح شخصيتها رضي الله عنها:

شجاعتها:

تظهر شجاعة السيدة صفية بنت عبد المطلب لما كانت في حصن فارع، ورأت يهودي يطوف حول الحصن، فنزلت إليه بعمود خيمتها وقتلته[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١) وابن حبان في «الثقات» (٦/ ٣٦) من طريق الواقدي.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢) والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ٣٠٨) من =

OBEIKAN.COM

❁ بعض المواقف من حياتها مع الرسول ﷺ:

لقد بايع الرسول ﷺ الصحابيات على الإسلام، وما مسّت يدُهُ يد امرأة منهنّ، وكانت عمّته صفية رضي الله عنها، فكان لبيعتها أثرٌ واضح في حياته، بإيمانها بالله ورسوله، ومعروفها لزوجها، وحفاظها على نفسها، والأمانة والإخلاص في القول والعمل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: الآية ١٢].

- لم تكن صفية رضي الله عنها - لتنسى قول رسول الله ﷺ في أول أيام إسلامه، لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤].

قام رسول الله ﷺ وقال: «**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئ، سلوني من مالي ما شئتم**»(١)، فخصّها بالذكر كما خصّ ابنته فاطمة أحب الناس إليه.

زعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر أخو مرحب فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله، قال: «**بل ابنك يقتله إن شاء الله**» فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير(٢).

= طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عنه، وعباد بن عبد الله لم يدرك الواقعة، وذكره الواقدي في «المغازي» (١/ ٤٦٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥) والترمذي (٢٣١٠) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٢/ ١٣٦) والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٣١) من =

OBEIKAN.COM

❁ بعض المواقف من حياتها مع الصحابة:

أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة فلقيها الزبير فقال: أي أمة إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم وقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله، فجاء الزبير فأخبره، فقال: «**خلِ سبيلها**»، فأتت إليه واستغفرت له، ثم أمر به ودفن[١].

بعض كلماتها:

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبد المطلب، تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أَسَائِلَةً أَصْحَابَ أُحْدٍ مَخَافَةً ... بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى ... وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً ... إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَرْتَجِي ... لِحَمْزَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خير مصير
فو الله لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتْ الصَّبَا ... بُكَاءَ وَحُزْنًا مُحْضري وَمَسِيري
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِدْرَهَا ... يَذُودُ عَنْ الْإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ
فَيَا لَيْتَ شِلْوِي عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظُمِي ... لَدَى أضبع تعتادنى ونسوره
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيَّ عَشِيرَتِي ... جَزَى اللَّهُ خَيْرًا من أَخ ونصير[٢]

= طريق هشام بن عروة، وهشام لم يدرك الواقعة، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦) من وجه آخر عن الزبير بن العوام، ولكن الإسناد لا يصح.

(١) ابن جرير الطبري في «التاريخ» (٢/ ٧٢) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٧) وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٤٤).

(٢) ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ١٢٠) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٦٨).

OBEIKAN.COM

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها:

أَرِقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ ... عَلى رَجُلٍ بِقارِعَةِ الصَعِيدِ
فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمْ دُمُوعِي ... عَلى خَدِّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ
عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغْلٍ ... لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ وارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ ... وَلا شَخْتِ الْمُقامِ وَلا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِيٍّ ... مُطاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ[1]

رثائها للرسول ﷺ:

أَلا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا ... وَكُنت بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جافِيا!
وَكُنْتَ بِنَا رَءُوفًا رَحِيمًا نَبِيَّنَا ... لِيَبْكِ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيَا!
لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِمَوْتِهِ! ... وَلَكِنْ لِهَرْجٍ كَانَ بَعْدَكَ آتِيا
كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ... وَما خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَاوِيَا
أَفَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ. رَبُّ مُحَمَّدٍ ... عَلى جَدَثٍ أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثَاوِيَا!
أَبَا حَسَنٍ فَارَقْتَهُ وَتَرَكْتَهُ ... فَبِكَ بِحُزْنٍ آخِرَ الدَّهْرِ شَاجِيا!
فِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ أُمِّي وَخَالَتِي ... وَعَمِّي وَنَفْسِي قُصْرَةً ثُمَّ خَالِيا
صَبَرْتَ وَبَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ صَادِقًا ... وَقُمْتَ صَلِيبَ الدِّينِ أَبْلَجَ صافِيا!
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَاكَ بَيْنَنَا ... سَعِدْنَا. وَلَكِنْ أَمْرُنَا كَانَ ماضِيا!
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلامُ تَحِيَّةً ... وَأُدْخِلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ الْعَدْنِ راضِيا!
أَرَى حَسَنًا أَيتَمتَه وَتَركتَه ... يبكي وَيَدْعُو جده الْيَوْم نائِيا[2]

---

(١) ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٤٥) وابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٣٠٨).
(٢) ذكره أبو بكر أحمد بن مروان الدنيوري المالكي في «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ١٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٢٠).

OBEIKAN.COM

وفاتها:

توفيت ﵂ في خلافة عمر سنة عشرين، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودفنت في البقيع[١].

(١) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤١)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٧١).

OBEIKAN.COM